

فتح الملك الرحيم في درء الإلحاد وبيان الصراط المستقيم

هيثم بن سمير بن عبد الحميد السكندرى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف

المرسلين محمد صلى الله عليه و سلم،،،
أما بعد،
يقول رسول الله صلة الله عليه وسلم :"يا أيها النّاسُ، إنّ اللّه عَزّ وَجَلّ يَقُولُ: مُرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ المُنْكرِ مِنْ قَبْلِ أنْ تدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي، فَلَا أنْصُرُكُمْ" ومن أعظم المنكر الشرك و الكفر بالله سبحانه و تعالى و أعظم الكفر به هو إنكار وجوده أو التشكيك في ذلك ، وللأسف فقد أخذت موجة من الإلحاد في التمدد في الآونة الأخيرة مستغلين ما وقع من أخطاء بعض التيارات الإسلامية الحركية .
فكان لزاماً على العاملين في الحقل الدعوي أن يبينوا الحق ليتبعه الباحثين عنه الصادقين في بحثهم عن الطريق الحق كما هو المنهج القرآني الذي أشار إليه الله عز و جل في قوله :" وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ"
أما المعاندين المتبعين أهوائهم فنقول فيهم كما قال مؤمني أصحاب السبت :" وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"فتكون الحجة قد قامت عليهم و العذر قد نُزع عنهم و نكون قد أبرأنا ذمتنا منهم أمام الباري سبحانه و تعالى ،فرأيت بناءً على نصائح بعض إخواني أن أسهم بشيء في هذا المضمار ، ولقد اعتمدت في عملي بشكل كبير على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية و تلميذه العلامة ابن القيم بالإضافة إلى غيرهم من الأفاضل كالغزالي و غيره، و كان أكثر إسهامي هو المزج و القولبة و ترتيب الحجج و بيان بعض وجوه الحجية التي قد تخفى على البعض ، ولأجل هذا المزج صعب على عزو الكلام إلى مصادره لذا اكتفيت بالتنويه هاهنا على أن عملي لم يتجاوز ما سبق ذكره.
وقد رتبت هذا العمل على عدة مباحث كما هو مبين با الفهرس أسفله،فأسأل الله العلي العظيم أن يتقبل مني هذا

العمل و يجعله خيراً لي في الدارين.

فهرس مباحث
الرسالة

مبحث : في بعض أدلة وجود الله عز وجل

1- دليل الإختراع:

يقولُ تعالى:" أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ"

يَعتمدُ هذا الدليلُ على إثارةِ الفِكرِ للتعرفِ على خالقِ الموجوداتِ جَميعها و الاستدلالِ بذلكَ علَى وحْدانيتهِ تَعالَى ومِنْ ذلك مَا يظهرُ مِنْ اختراعِ جواهرِ الأشياءِ الموجوداتِ فِي نفسِ حدوثِ الحيوانِ والنباتِ والمعدنِ والمطرِ والسحابِ، ونحوِ ذلك، معلومٌ بالضرورةِ، بلْ مشهودٌ لَا يحتاجُ إلَى دليلٍ، وإنما يُعلمُ بالدليلِ ما لم يُعلمْ بالحسِ وبالضرورةِ يقولُ المولى عزّ و جلّ:" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" ،ويقولُ :" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ".

و قدْ ذكرَ كيركباتريك فِي كتابهِ الفيزياء أن كتلةَ الشمسِ تتناقصُ بمقدارِ 4.3 بليون كيلوجرام في الثانية[1] وهَذا أيضاً يَدلُ عَلى أنها مصنوعةٌ مخترعةٌ فإنها لوْ كانتْ أزليةً لَزمَ أنْ لا تتناهى حجْماً

---

[1] نقلا عن الفيزياء ووجود الخالق

و كُتلةً و هوَ مُمتنعٌ فإنْ كُلْ جِسْمٍ لهُ أبْعاد لا بد أنْ يكون محدوداً،فلما كانت جميع هذه الموجودات مخترعة من العدم بعد أن لم تكن دل على أنه لا بد من وجود مبدع صانع لهذه الأشياء قادر على الا ختراع لاستحالة تحولها من العدم إلى الوجود بنفسها،ومن المعلوم بضرورة العقل أن المحدَث لابد له من مُحدِث وأنه يمتنع تسلسل المحدِثات بأن يكون للمحدِث محد ِث وللمحدث محدث إلى غير نهاية وهذا يسمى تسلسل المؤثرات والعلل و الفاعلية وهو ممتنع باتفاق العقلاء.فثبت وجود الأ ول الذى تنبعث منه جميع الأسباب انبعاثا مباشراً أو بواسطة.

و من ذلك أيضا ًاختراع الحياة في الجماد، والإ دراكات الخمسة والعقل يشير لذلك القرآن فيقول سبحانه:" إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له" فإنا نرى أجساماً جمادية ثم تحدث فيها الحياة، فنعلم قطعاً أن ها هنا موجداً للحياة ومنعماً بها ونعلم أن الحياة عرض محدَث يحتاج إلى محدِث.

يقول ابن رشد: هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات، كما قال تعالى: إِنّ الّذِينَ تدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّه ِ لَنْ يَخْلُقوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لهُ "؛ فإنا نرى أجساماً جمادية ثم تحدث فيها الحياة، فنعلم قطعاً أن هاهنا موجداً للحياة, ومنعماً بها وهو اللّه تبارك وتعالى، وأما السموات فنعلم من قبل حركاتها التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية بما هاهنا ومسخرة لنا، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة.

فإن قيل لماذا لاتكون الطبيعة هي المحدِثة لكل هذه المحدثات قلنا حددوا لنا أولاً ماذا تقصدون بـ

الطبيعة هل تقصدون بها نفس الذوات المحدَثة فتكون الأشياء قد خلقت نفسها و هو محال إذ كيف للمعدوم أن يوجد نفسه و هو في حال العدم فضلا ً عن غيره أم تريدون صفاتها و طبائعها من حرارة و برودة و رطوبة و يبوسة فيكون ذلك أكثر استحالة لأن من البدهيات أن الصفات والطبائع لا تقوم إلا بذوات الأشياء، فهي مفتقرة للأشياء, ف الصفة دائمًا مفتقرة إلى الموصوف لأنها لا تظهر إلا به، وإذا كانت الأشياء الموصوفة ذاتها عاجزة عن إيجاد نفسها فعجز الصفة والقابلية عن إيجاد موصوفاتها من باب أولى.
وبهذا يظهر بطلان قول أهل الطبع الذين جعلوا من الأشياء آلهة ونحلوها أسماء باطلة، فالطبيعة ليست إلهًا يخلق، وإنما هي أصنام الملحدين الذين فروا من التوحيد تحت شعار هذا الاسم الخادع يقول تعالى:" إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى"
،يقول العلامة الفرنسي كاميل فلامريون في كتابه الله في الطبيعة – وهو من التطوريين-: إن الزعم بأن الخلية تتكون بذاتها وتترقى بطبيعتها بقيامها على اتجاه ثابت ، نحو نتائج متدرجة في الكمال ، يعتبر كنصف اعتراف بأن هذه الطبيعة مقودة نحو الكمال بسبب عاقل فكيف يعقل أن الطبيعة الميتة تفكر في أن تترقى على التعاقب في شكل نباتي ثم حيواني ثم إنساني ، وأن تكوِّن هذه الأعضاء التي تؤلف الكائن الحي ، وتكون كافية لحفظ الحياة في خلال القرون ، وأن تبني هذه الأجهزة التي بها الكائن الحي يكون في اتصال مستمر بالأشياء المغايرة له ؟،بأي اتفاق مدهش تكونت هذه الأعضاء

رويدا ، رويدا لأجل توصيل المؤثرات الخارجية إلى الجسم ، ثم ارتبطت هذه الأعضاء بالمخ المدرك الذي هو وحده يحكم ويفهم.انتهى كلامه فنقول إن نظرية النشوء والإرتقاء و إن رفضناها عقلا و شرعاً إلا أنها لا تنافي إثبات الخالق بل على العكس هي تثبت خالقا بل إن داروين نفسه لا ينكر وجود الرب الخالق ، فقد قال عند كلامه على نشوء العين وتدرجها في الكمال قال :((يجب التسليم بأنه توجد قوة مدبرة مظهرها الانتخاب الطبيعي ، تراقب دائما ما يحدث من العوارض على الطبقات الشفافة للعين))[2].

فإن قيل إذا قلتم بأن لكل شيء مخترع و خالق فلماذا لا تقولون هذا عن الرب؟قلنا لم نقل أن لكل شيء مخترع و خالق و إنما قلنا لكل محدَث، و الرب ليس بمحدَث ثم إنا قلنا أنه يمتنع تسلسل المحدِثات بأن يكون للمحدِث محد ِث وللمحد ِث محد ِث إلى غير نهاية وهذا يسمى تسلسل المؤثرات والعلل والفاعلية وهو ممتنع باتفاق العقلا ء.فثبت وجود الأول الذي تنبعث منه جميع الأسباب انبعاثا مباشراً أو بواسطة.

لذا كان واجباً على من أراد معرفة الرب سبحانه من هذا الطريق حق معرفته أن يعرف جواهر الأ شياء ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع، ولهذا أشار سبحانه وتعالى إرشاداً للعباد بقوله: "أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأ َرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ ُ مِنْ شَيْءٍ".

---

[2] كتاب الدين و العلم

2- دليل الوجود الواجب و الممكن:

يقول تعالى :"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" فهَذِهِ الْحَوَادِثُ الْمَشْهُورَةُ يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ وَاجِبَةَ الْوُجُودِ بِذَاتِهَا؛ فَإِنَّ مَا وَجَبَ وُجُودُهُ بِنَفْسِهِ امْتَنَعَ عَدَمُهُ وَوَجَبَ قِدَمُهُ وَهَذِهِ كَانَتْ مَعْدُومَةً ثُمَّ وُجِدَتْ؛ فَدَلَّ وُجُودُهَا بَعْدَ عَدَمِهَا عَلَى أَنَّهَا يُمْكِنُ وُجُودُهَا وَيُمْكِنُ عَدَمُهَا فَإِنَّ كِلَيْهِمَا قَدْ تَحَقَّقَ فِيهَا؛ فَعُلِمَ بِالضَّرُورَةِ اشْتِمَالُ الْوُجُودِ عَلَى مَوْجُودٍ مُحْدَثٍ مُمْكِنٍ. فَنَقُولُ حِينَئِذٍ: الْمَوْجُودُ الْمُحْدَثُ الْمُمْكِنُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُوجِدٍ قَدِيمٍ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ وُجُودُ الْمُحْدَثِ بِنَفْسِهِ كَمَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَخْلُقَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَذَا مِنْ أَظْهَرِ الْمَعَارِفِ الضَّرُورِيَّةِ؛ وَمِنْ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْحَادِثَ بَعْدَ عَدَمِهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ وَهَذِهِ قَضِيَّةٌ ضَرُورِيَّةٌ مَعْلُومَةٌ بِالْفِطْرَةِ حَتَّى لِلصِّبْيَانِ؛ فَإِنَّ الصَّبِيَّ لَوْ ضَرَبَهُ ضَارِبٌ وَهُوَ غَافِلٌ لَا يُبْصِرُهُ لَقَالَ: مَنْ ضَرَبَنِي؟ فَلَوْ قِيلَ لَهُ: لَمْ يَضْرِبْك أَحَدٌ؛ لَمْ يَقْبَلْ عَقْلُهُ أَنْ تَكُونَ الضَّرْبَةُ حَدَثَتْ مِنْ غَيْرِ مُحْدِثٍ؛ بَلْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْحَادِثِ مِنْ مُحْدِثٍ ، فإن الوجود إما واجب بذاته وهو الذي لا يمكن غيابه و إما ممتنع بذاته و هو الذي لا يوجد أبداً أو ممكن وجوده أي يحتمل الوجود و عدمه و ما كان وجوده ممكناً يحتاج في وجوده إلى علة تامة تكون سبباً لحدوث هذا الوجود و إلا كان ترجيحاً بلا مرجح و العلة التامة هي مجموع المقتضيات و انتفاء الموانع

فيحتاج الممكن إلى سبب لوجوده هو القديم الواجب الوجود.
فإن قيل بأن العالم أو الوجود بمجموعه هو الواجب الوجود القديم بذاته و أفراده هي الممكنة الوجود المحدثة قلنا إن المجموع ليس سوى الأفراد بالإضافة إلى الهيئة الإجتماعية و الهيئة الإجتماعية هي العلاقة بين الأفراد بعضها البعض فهي تفتقر إلى الأفراد فلا يمكن ان تكون واجبة الوجود لأنها تفتقر في وجودها إلى حدوث الممكنات و المحدثات و ما كان كذلك امتنع أن يكون واجب الوجود لذاته فلا يكون المجموع واجبا بنفسه إذ هو مركب من أفراده و الهيئة الإجتماعية فيكون مفتقراً في وجوده إلى المحدثات والممكنات.
فإن قيل بأن هذا لا يمنع أن يكون مجموع الحوادث الممكنة قديم أي أن القديم هو جنس الحوادث لا أفرادها فما المانع من ذلك ؟ قلنا نعم لا يمتنع ذلك عقلاً ،و هذه مسألة اخرى و هي قدم جنس الحوادث و قدم الجنس لا يدل على كونه هو الواجب الوجود بذاته ففارق بين القول بأن جنس الحوادث قديم و بأنه هو العلة لحدوث الحوادث الممكنة و علة ذلك كما بينا أن الجنس ما هو إلا مجموع الحوادث فهو متوقف في وجوده على وجود تلك الحوادث فلو قلنا بأنه هو المحدث لها لزم الدور و هو ممتنع.
ولو قيل بأن كل حادث ممكن الحدوث متوقف في حدوثه على ما قبله من الحوادث أو بعضها و هكذا دواليك فلا حاجة إلى تقدير خالق مستقل.
قيل بأن ذلك مستلزم لتسلسل العلل و الفاعلين و هو ممتنع إذ لو قدرنا الحادث الحالي يتوقف على ما قبله و ما قبله يتوقف على ما قبله وجب ان

تنتهي السلسلة إلى بداية فيكون هناك شيئاً موجوداً هو الأول من هذه الحوادث و هو ما انبنى عليه الثاني وهكذا وهذا الشيء إما ان يكون وجوده ممكناً حادثاً او قديماً واجباً فإن كان الثاني فقد ثبت المطلوب إذ المطلوب هو إثبات واجب الوجود القديم الذي اوجد ما بعده و إن كان الأول عادت الحاجة إلى الواجب الوجود بذاته و عدنا إلى القول بأن الْمُحْدَثُ الْمُمْكِنُ لَا بُدّ لَهُ مِنْ مُوجِدٍ قَدِيمٍ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ؛ فَإِنّهُ يَمْتَنِعُ وُجُودُ الْمُحْدَثِ بِنَفْسِهِ .

فإن قيل بأن الواجب الوجود هو الوجود المطلق قلنا إن الوجود المطلق ليس بشيء موجود في الخارج أصلا ً بل هو لا وجود له إلا في الذهن ف المعاني المطلقة لا وجود لها في الواقع بل هي معاني ذهنية كالحَيَوَانِيّةِ الثّابِتَةِ فِي كُلّ حَيَوَانٍ، وَالْإِنْسَانِيّةِ الثّابِتَةِ فِي كُلّ إنْسَانٍ، وَهَذَا الّذِي يُسَمّيه المنطقيون الْكُلّيّ الطّبِيعِيّ و الكليات لا توجد إلا في الأذهان فلا يتصور وجود شيء مثلا ً اسمه الحيوانية المطلقة في الخارج يكون فاعلا ً او حتى مفعولا ً به ،أما في الخارج و في واقع الأمر فلا يوجد إلا المعينات التي هي أنواع ذلك المعنى الكلي فالحيوان الكلي مثلا لا وجود له خارج الذهن و إنما الموجود هو أفراد الحيوان المختلفة التي تتصف بصفة الحيوانية التي هي صفة معنوية يدرك العقل وجودها في الحيوان و ليست هي جزء مادي منه .

فالإنسان مثلا إذا عرف كما يعرفه المناطقة بأنه حيوان ناطق فلا يعني ذلك أنه مركب من جزئين موجودين بداخله هما الحيوانية و الناطقية بل هو تركيب معنوى عقلي و كذلك الفرس إذا عرف بأنه حيوان صاهل لم يكن مركب من جزئين موجودين

بداخله هما الحيوانية و الصاهلية و كذلك ليست
الحيوانية هي شيء مادي مركب من مجموع
الحيوانات الموجودة في الكون بل هي صفة و
معنى كلي يدركه الذهن - و هو كون المتصف بها
كائن حي نامي متحرك بالإرادة- موجود في أفراد
متعددة .
و لو افترضنا جدلا ً وجود ذلك الوجود المطلق
فإما أن يكون هذا الوجود هو جزء من كل موجود ،
و إما أن يكون مجموع الموجودات هو الوجود
المطلق و على الأول فإن وجود الوجود المطلق
متوقف على وجود الموجودات التي هي محدثة
ممكنة الوجود إذ يمتنع وجود الجزء دون هذه
الماهيات المركبة فيكون وجوده متوقف على وجود
الممكنات و المحدثات فيمتنع كونه واجب الوجود.و
على الثاني إذا قلنا بأن الموجودات هي أجزاء
الوجود المطلق و ليست أنواعه فيكون الوجود
المطلق هو مجموع الموجودات جميعاً قلنا بان
وجوده متوقف على وجود الموجودات المحدثة
الممكنة الوجوب و ما كان كذلك امتنع كونه واجب
الوجود و ينطبق عليه ما ذكر سابقاً في الرد على
كون العالم أو الوجود بمجموعه هو الواجب الوجود
القديم.
فإن قيل بان المادة القديمة هي واجب الوجود
بذاته ومنها نشأ الكون فيكون معنى الكلام أن
المادّة أزلية باقية بعينها، وإنما حدث فيها أعراض
أو صور وهو ما يأخذونه من نظرية الانفجار العظيم
، قلنا لو سلمنا بقدم المادة و هو ما لا دليل عليه ،
فإن حدوث تلك الأعراض حادث بعد ان لم يكن
حدث في زمن معين فكان ممكن الوجود فلم يمكن
وجوده بنفسه فلزم إثبات واجب الوجود ثم إن هذا

الواجب الوجود إما أن يكون نفس المادة القديمة هي بذاتها المتسببة في هذا الحدوث أو لسبب خارج عنها فإن كان الأول لزم قدم الحدوث و ازليته لأن المعلول لا يتخلف عن علته التامة و إن كان الثاني ثبت وجود واجب الوجود المستقل و هو المطلوب و بقى النزاع في مسألة قدم المادة أي أن النزاع يصبح حول هل خلق الخالق المادة من عدم أم أنه يحولها من صورة لأخرى ،فإن قيل يلزمكم ما يلزمنا في المادة قلنا لا بل هذا يُثبِت أن واجب الوجود لابد أن يكون ذو إرادة فالإرادة هي التي ترجح بين الممكنات و إلا لزم ما لزمكم في المادة فدل ذلك على أن واجب الوجود مريد، ثم نقول إن المادة مكونة من ذرات و جزيئات بالإضافة إلى الروابط بينها و تلك الروابط ممكنة الحدوث إذ يمكن عدمها وهي حادثة فهي لا توجد إلا بعد وجود الذرات و الجزيئات فهي معلولة لها و المعلول لا يقارن علته الفاعلة فلزم تاخيرها فثبت حدوثها فاحتاجت إلى محدث وهو واجب الوجود القديم أو سبب آخر حادث فنرجعه إلى واجب الوجود القديم ،ثم إن المادة تقبل التحول إلى طاقة و الطاقة تقبل التحول إلى مادة وقابلية التحول و الفناء هذه تثبت أن بقائها كان متوقفاً على أمور خارجة عن ذاتها فكانت ممكنة الوجود ، فتكون نظرية الإنفجار العظيم على فرض صحتها -ولا يوجد في شريعتنا ما ينافي صحتها بل على العكس قد يوجد ما يشهد لها يقول تعالى:" أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ* وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ "- تفسيره بأن الخالق قد خلق السماوات و الأرض

كتلة مادية واحدة ثم أحدث هذا الإنفجار العظيم الذي تكون منه الكون و هذا هو الأوقع و الأقرب إلى العقل تصديقه فإنه من غير الممكن على العقل أن يصدق أن انفجاراً عشوائياً لجبل من الجبال يترتب عليه قيام الأحجار على هيئة قصر مشيد من عدة أدوار بينهم سلالم و مقسم إلى غرف و صالة استقبال واسعة مع وجود مكان في الخارج للحديقة و حمام السباحة و وجود مكان لوضع البوابة فلا يمكن تصديق أن هذا الإنفجار كان عشوائياً فأنتج هذا النظام الدقيق أما إن قيل بأنه انفجار مدروس بحسابات متقنة لكي يقيم مثل هذا القصر كان ذلك ممكنا مقبولا ً فكذلك هنا .قال البغوي تعليقاً على الآية السابقة: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَطَاءٌ وَقَتَادَةُ: كَانَتَا شَيْئًا وَاحِدًا مُلْتَزِقَتَيْنِ {فَفَتَقْنَاهُمَا} فَصَلْنَا بَيْنَهُمَا بِالْهَوَاءِ، وَالرَّتْقُ فِي اللُّغَةِ: السَّدُّ، وَالْفَتْقُ: الشَّقُّ، فانظر كيف تكلم البغوي المتوفي سنة 510 من الهجرة و ابن عباس رضي الله عنه صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الحدث الهام وهو الموافق للتفسير الذي ذكرناه.

فتكون النتيجة أن صانع الكون أزلي الوجود واجبه لا يقبل التركيب المادي ولا التفريق إذ ما قبل التركيب المادي و التفريق كان وجوده ممكناً لا واجباً فهو الواحد الأحد لا مبدأ لوجوده إذ لو كان محدثاً لشارك الحوادث في الإحتياج إلى محدث ثم الكلام في المحدِث يتسلسل إلى الكلام في محدِث آخر فيلزم إما تسلسل الفاعلين و هو ممتنع عقلا ً و إما العودة لإثبات واجب الوجود القديم الذي لا مبدأ لوجوده فهو الأول ليس قبله شيء ووجوده واجب بذاته لا يتوقف على شيء من المحدثات فلا

ينقطع وجوده فهو الباقي الذي لا يفنى ، و هو حي عالم قادر مريد حكيم إذ العاجز لا يصدر منه الفعل ، و هو ذو إرادة إذ لو كان غير ذو إرادة و كانت الأ فعال تتولد منه بغير مرجح لزم إما قدم جميع المحدثات أو عدم حدوث شيء أصلا ً و قد أثبتنا هذا عند الكلام على المادة كما أن الْأَفْعَال المحكمة المتقنة الْوَاقِعَة على أحسن تَرْتِيب ونظام وإتقان وإحكام لَا تصدر إِلَّا من عَالم بهَا، والترتيب و الإتقان يدل على الحكمة و هي وضع الشيء في محله .فـ من جوز صُدُور خطّ منظوم على تَرْتِيب مَعْلُوم من غير عَالم بالخط كان ذلك دليل على جهل ذلك المجوز و سفاهته، ومن كان عالماً قادراً فلابد أن يكون حياً إذ من ليس بحي لا يصدر منه فعل أصلا ً فضلا ً عن ان يوصف بالعلم و الحكمة و النظر في المفعولات يدلنا على المزيد من صفاته عقلا ً مثلا ً كالرحمة و القوة و غير ذلك و ليس هذا محل مناقشة صفات الباري سبحانه و تعالى على التفصيل ،و لا يمنع العقل أن يوصف بصفات أخرى لم يدركها العقل فعدم إدراك العقل ليس دليلا ً على عدم الوجود بخلاف منع العقل فهناك فارق بين أن يحكم العقل بامتناع الحركة مثلا ً على الباري سبحانه و تعالى و بين أن يجهل حدوثها من عدمه فإذا ثبتت بدليل آخر كالخبر الصادق مثلا ً فلا تعارض واقع أصلا ً بين العقل و الخبر و كذلك نعلم أيضاً أن صانع العالم هو بائن عن الخلق منفصل عنهم ودليلنا أن لما خلق الخلق إما ان يخلقهم في ذاته أو خارجا عنه أو في غير محل و الثالث ممتنع عقلا ً و الأول ممتنع لأنه يؤدي إلى أن يكون جزءاً من واجب الوجود مخلوق مما يؤدي ان يصبح ممكناً مركبا تركيباً ماديا فيبطل كونه

واجب الوجود فالله سبحانه أحد صمد لا يتجزىء ولا يتبعض ولا ينقسم بمعنى أنه ينفصل بعضه عن بعض كما ينفصل الجسم المقسوم .
فإن قيل فإثباتكم للصفات يعني أنه مركب فينافي كونه واجب الوجود قلنا بأن الصفات هي ما يميز الذات عن غيرها من الذوات فالصفة هي الأمارة اللا زمة للذات التي يُعرف بها و الذي ينافي كونه واجب الوجود هو التركيب المادي الذي يمكن تفريقه و تركيبه أما ما نثبته نحن فهو تركيب معنوي يدركه الذهن لكن لا حقيقة له – أي التركيب- في الخارج إذ لا يمكن فصل الذات عن صفاتها فلا يمكن مثلا فصل الإرادة عن المريد أو القدرة عن القادر و هذا يلزمنا إذا أثبتنا تجدد الصفات الذاتية و أنه قد تحدُث له صفة غير ما كان عليه أزلا ً و هذا لا نثبته و إنما المتجدد عندنا آحاد أفعاله التي جنسها قديم فهذا المعنى الذي سميتموه تركيباً ليس معنى كونه تركيباً إلا كون الذات موصوفة بصفات قائمة بها، ليس معناه أنه كان هناك شيء متفرق فركبه مركب بل ولا هناك شيء يقبل التفريق فإن الكلام إنما هو في إثبات صفات واجب الوجود اللازمة لذاته التي لا تنفك عنه فلا يمكن أن تفارقه ولا أن توجد دونه ولا يوجد هو إلا بها فليس هناك شيئان كانا مفترقين فركبا .
فإن قيل لو كانت له صفات لكانت معلولة للذات و الواجب لا يكون معلولا و حاصل القول أن السؤال عن الصفات هل هي واجبة الوجود أم لا وهل هي زائدة عن الذات أم لا فنقول واجب الوجود قد يعنى به ما لا يحتاج إلى فاعل و لا يمكن أن يلحقه عدم -وهو ما نعنيه هنا وقامت عليه الحجة و البرهان –فالصفات الذاتية واجبة بهذا الاعتبار لأنها

لا تنفك عن الذات ،وقد يعنى به ما لا يفتقر إلى محل قائم بنفسه وعلى هذا فالذات واجبة وأما الصفات فليست واجبة بهذا التفسير ،والبرهان الذي ذكرناه قام على أن الممكنات لا بد لها من فاعل لا يفتقر إلى ما سواه لم يقم على أن صفاته كذاته في من كل وجه أو انها يلزم ان تكون كذلك ولا يحتاج البرهان لإثبات ذلك.وهل الصفات زائدة على الذات أم لا؟ هي زائدة عنها باعتبار المفهوم و التصور و لكنها غير زائدة عنها باعتبار الحقيقة و الوجود أي أنه إن أريد بقولهم بأن الصفة غير الذات أو زائدة على الذات أن للصفة ذاتاً مجردة قائمة بنفسها، منفصلة عن الذات، فهذا غير صحيح- وإن أريد أن الصفات زائدة عن الذات بمعنى أن للذات معنى غير معنى الصفة والذي يفهمه العقل من إثبات الصفات زائد على ما يفهمه من إثبات الذات، بيد أنها لا تنفك عن الذات، فهذا صحيح و إِثبَاتُ ذَاتٍ مُجَرّدَةٍ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ أَمْرٌ قد يُقَدِّرُهُ الذِّهْنُ وَإِلَّا فَوُجُودُهُ فِي الْخَارِجِ مُمْتَنِعٌ فَلِأَنّ كُلّ مَوْجُودٍ لَا بُدّ لَهُ مِنْ حَقِيقَةٍ يَخْتَصُّ بِهَا يَتَمَيّزُ بِهَا عَمّا سِوَاهُ وَكُلٌّ مِنْ الْمَوْجُودَاتِ يُقَالُ لَهُ: ذَاتٌ فَكُلُّهَا مُشْتَرِكَةٌ فِي مُسَمّى الذّاتِ كمَا هِيَ مُشْتَرِكَةٌ فِي مُسَمّى الْوُجُودِ فَلَا بُدّ أَنْ يَكُونَ لِكُلّ مِنْ الذّاتَيْنِ مَا تَخْتَصُّ بِهِ عَنْ الْأُخْرَى كمَا أَنّهُ لَا بُدّ لِكُلّ مِنْ الْمَوْجُودَيْنِ مَا يُمَيّزُهُ عَنْ الْآخَرِ فَإِذَا قُدِّرَ ذَاتٌ مُطْلَقَةٌ لَا اخْتِصَاصَ لَهَا كانَ ذَلِكَ مُمْتَنِعًا كوُجُودٍ مُطْلَقٍ لَا اخْتِصَاصَ لَهُ ويشبه ذلك قول القائل أُثبِتُ إنْسَانًا؛ لَا حَيَوَانًا وَلَا نَاطِقًا وَلَا قَائِمًا بِنَفْسِهِ وَلَا بِغَيْرِهِ وَلَا لَهُ قُدْرَةٌ وَلَا حَيَاةٌ وَلَا حَرَكَةٌ وَلَا سُكُونٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ أَوْ قَالَ: أُثبِتُ نَخْلَةً لَيْسَ لَهَا سَاقٌ وَلَا جِذْعٌ وَلَا لِيفٌ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ؛ فَإِنّ هَذَا يُثْبِتُ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ فِي الْخَارِجِ وَلَا

يُعْقَلُ فَلَا بُدّ أَنْ تَخْتَصّ كُلُّ ذَاتٍ بِمَا يَخُصُّهَا وَذَلِكَ الّذِي يَخُصُّهَا مَا تُوصَفُ بِهِ مِنْ الْخَصَائِصِ فَذَاتٌ لَا حَقِيقَةَ لَهَا تُوصَفُ بِهَا مُحَالٌ فإذا عرفنا ذلك عرفنا أن إطلاق أن وجود الذات علة لوجود الصفات فيه نظر بل الأصح أنها علاقة اشتراط متبادل فوجود الذات شرط في وجود الصفات ووجود الصفات شرط في وجود الذات فليس أحدهما معلولاً للآخر.

3- دليل العناية و الغاية:

يقوم دليل العناية على أن يفكر الإنسان جيداً وينظر فيما يحيط به من اتقان في الخلق و رعاية و عناية ربانية ونعم لا تعد ولا تحصى، وقد خلق اللّه من أجله أكثر الموجودات ، بل جميع ما في السموات وما في الأرض، وذلك في قوله تعالى: "وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ" – بل جسم الإنسان نفسه آية دالة على ما لله من قصد وغاية في خلق أعضائه على هذا النحو الذي تتعاون فيه وتتكامل لأداء وظيفة الإنسان، فخلق العين في مقدمة الرأس وليس في المؤخرة، وخلق السمع والشم والذوق التي هي وسائل الإدراك على هذا النحو التكاملي, مما يدل على أن هناك فاعلا حكيماً وأن له غاية وقصداً فيما خلق، مما ينفي القول بالعبث أو المصادفة، قال تعالى: "وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" يقول صديق حسن خان : (وفي أنفسكم) في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال ، آيات تدل على توحيد اللّه وصدق ما جاءت به الرسل، فإنه خلقهم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، إلى أن ينفخ فيهم الروح، ثم تختلف بعد

ذلك صورهم، وألوانهم، وطبائعهم، وألسنتهم، ثم
نفس خلقهم على هذه الصورة العجيبة الشأن من
لحم ودم وعظم وأعضاء وحواس ومجاري ومنافس
، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرة وبدائع
الخلق ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما
ركز فيها من العقول، وبالألسن والنطق ومخارج
الحروف، وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآ
يات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها
وصانعها، دع الأسماع والأبصار، والأطراف، وسائر
الجوارح، وتأتيها لما خلقت له، وما سوى ذلك في الأ
عضاء من المفاصل للانعطاف والتثني، فإنه إذا جسا
منها شيء جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل
(فتبارك الله أحسن الخالقين).
ومن الآيات التي تشير إلى هذه الدلالة وهي أن
الخلق مقصود على العناية ببني آدم: قوله تعالى:
"وَجَعَلْنَا فِي الأ   َرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا
فِيهَا فِجَاجاً سُبُلا   ً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ, وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ
سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ, وَهُوَ الَّذِي
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ
يَسْبَحُونَ" وقال سبحانه و تعالى:" أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ
مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا
نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ
مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا
وَهَّاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ
حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا".،
و المسلك للاستفادة من هذا الدليل في تحقيق الإ
يمان بالله عز و جل هو دوام التأمل و التفكر و
التتبع للحكم و الغايات ، فإذا تأمل الإنسان بفكره
وعقله في بعض جزئيات هذا العالم المسخر
لمصالحه والتي عليها استقرار حياته، كفاه ذلك دلي

لا ً واضحا. وحجة بينة على أن هذا العالم مخلوق لخالق، حكيم قدير عليم قد قدر هذا العالم، فأحسن تقديره. ونظمه فأتقن تنظيمه.فمن تلك الجزئيات، الشمس، وما تضمنته من مصالح عليها قوام حياة الناس وأحوالهم، وحياة المخلوقات جميعا، من حيوان ونبات، فإن الناظر فيها يلمس كمال العناية. واللطف من اللّٰه تعالى والرحمة بهذا الإنسان.
و العقل السليم يرفض رفضًا تامًا أن يكون أي ترتيب وتنظيم لشيء ما حدث بصورة عفوية وبطريق الصدفة، فلو دخلنا دارًا أو محلًا تجاريًا منظمًا لأدى بنا النظر لأول وهلة إلى أن منظمًا نظم هذه الدار وهذا المحل، فكيف بهذا الكون المنظم كل شيء فيه أحسن تنظيم، بل هذا هو ما استدل به الأ عرابي البسيط حينما قال: ((البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، ألا تدل على اللطيف الخبير))،و المصادفة التي يزعمونها هي ضرب من الخيال المستحيل الذي يرفضه كل العقلاء فلو أن هزة أرضية قلبت صناديق الحروف في مطبعة بها نصف مليون حرف فخلطتها ببعضها, فأخبرنا صاحب المطبعة أنه تكوّن من اختلاف الحروف صدفة عشر كلمات متفرقة، فالمسألة تحتمل التصديق وتحتمل النفي، لكنه لو أخبرنا بأن الكلمات العشر كونت جملة مفيدة لازدادت درجة النفي والاستبعاد, لكننا قد لا نجزم بالاستحالة, ولو أخبرنا بأن الحروف المبعثرة كونت كتابًا من مائة صفحة مقسم إلى أبواب و فصول ومباحث و في نهاية كل فصل أسئلة تقييمية على الفصل وأن به قصيدة كاملة منسجمة بألفاظها وأوزانها فالاستحالة في هذه الحالة بحكم البديهة.

ومما يناسب ذكره لبيان دليل الغاية والعناية هذا المقال الهام:
كثيرا ما يقال ان هذا الكون المادي لا يحتاج إلى خالق، ولكننا إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده ونشأته؟ هنالك اربعة احتمالات للإجابة عن هذا السؤال: فإما ان يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال، وهو ما يتعارض مع القضية التي سلمنا بها حول وجوده، واما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم، وإما أن يكون أبديا ليس لنشأته بداية، وإما أن يكون له خالق.
أما الإحتمال الأول فلا يقيم أمامنا مشكلة سوى مشكلة الشعور والإحساس، فهو يعني أن إحساسنا بهذا الكون وإدراكنا لما يحدث فيه لا يعدو أن يكون وهماً من الأوهام ليس له ظل من الحقيقة. وقد عاد إلى هذا الرأي في العلوم الطبيعية أخيراً سير جيمس جيبز الذي يرى أن هذا الكون ليس له وجود فعلي، وانه مجرد صورة في أذهاننا. وتبعاً لهذا الرأي نستطيع أن نقول أننا نعيش في عالم من الأوهام، فمثلاً هذه القطارات التي نركبها ونلمسها ليست إلا خيالات، وبها ركاب وهميون وتعبر انهاراً لا وجود لها وتسير فوق جسور غير مادية.. الخ، وهو رأي وهمي لا يحتاج إلى مناقشة أو جدال. اما الرأي الثاني، القائل ان هذا العالم بما فيه من مادة وطاقة قد نشأ هكذا وحده من العدم، فهو لا يقل عن سابقه سخفاً وحماقة، ولا يستحق هو ايضاً أن يكون موضعاً للنظر أو المناقشة.
والرأي الثالث الذي يذهب إلى أن هذا الكون أزلي ليس لنشأته بداية إنما يشترك مع الرأي الذي ينادي بوجود خالق لهذا الكون، وذلك في عنصر واحد هو ا

لأزلية. واذا فنحن إما أن ننسب صفة الأزلية إلى عال
َم ميت، وإما أن ننسبها إلى إله حي يخلق. وليس
هنالك صعوبة فكرة في الأخذ بأحد هذين الا
حتمالين أكثر مما في الاخر، ولكن قوانين الديناميكا
الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد
حرارتها تدريجيا وانها سائرة حتماً إلى يوم تصير
فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الإ
نخفاض هي الصفر المطلق، ويومئذ تنعدم الطاقة،
وتستحيل الحياة. ولا مناص من حدوث هذه الحالة
من انعدام الطاقات عندما تصل درجة حرارة الا
جسام إلى الصفر المطلق بمضي الوقت. أما الشمس
المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع
الحياة، فكلها دليل واضح على أن أصل الكون و
أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة، فهو اذا ً
حدث من الأحداث. ومعنى ذلك انه لابد لأصل
الكون من خالق أزلي ليس له بداية، عليم محيط
بكل شيء، قوي ليس لقدرته حدود، ولابد أن يكون
هذا من صنع يديه.
إن ملاءمة الأرض للحياة تتخذ صورا ً عديدة لا
يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية.
فالأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها،
فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار، وهي تَسـ ْ
بح حول الشمس مرة في كل عام، فيكون في ذلك
تتابع الفصول، الذي يؤدي بدوره إلى زيادة مساحة
الجزيء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا ويزيد من
اختلاف الأنواع النباتية أكثر مما لو كانت الأرض
ساكنة. ويحيط بالأرض غلاف غازي يشتمل على
الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها إلى ارتفاع كبير
(يزيد على 500 ميل) ويبلغ هذا الغلاف الغازي من
الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب

القاتلة ميلا الينا، منقضة بسرعة ثلاثين ميلا في الثانية، والغلاف الذي يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة، ويحمل بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيدة داخل القارات، حيث يمكن أن يتكاثف مطرا يحيي الأرض بعد موتها، والمطر مصدر الماء العذب، ولولاه لأ صبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة. ومن هنا نرى أن الجو والمحيطات الموجودة على سطح الأرض تمثل عجلة التوازن في الطبيعة.

ويمتاز الماء بأربع خواص هامة تعمل على صيانة الحياة في المحيطات والبحيرات والأنهار، وخاصة حيثما يكون الشتاء قارسا ً وطويلا ً، فالماء يمتص كميات كبيرة من الأوكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة. وتبلغ كثافة الماء أقصاها في درجة اربعة مئوية. والثلج أقل كثافة من الماء مما يجعل الجليد المتكون في البحيرات والأنهار يطفو على سطح الماء لخفته النسبية، فيهيئ بذلك الفرصة لاستمرار حياة الكائنات التي تعيش في الماء في المناطق الباردة. وعندما يتجمد الماء تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة الأحياء التي تعيش في البحار. أما الأ رض اليابسة فهي بيئة ثابتة لحياة كثير من الكائنات الأرضية، فالتربة تحتوي العناصر التي يمتصها النبات ويمثلها ويحولها إلى أنواع مختلفة من الطعام يفتقر إليها الحيوان. ويوجد كثير من المعادن قريبا ً من سطح الارض، مما هيأ السبيل لقيام الحضارة الراهنة ونشأة كثير من الصناعات و الفنون. وعلى ذلك فإن الأرض مهيأة على أحسن صورة للحياة. ولا شك أن كل هذا من تيسير حكيم

خبير، وليس من المعقول أن يكون مجرد مصادفة أو خبط عشواء. ولقد كان أشعياء على حق عندما قال مشيراً إلى الله: (لم يخلقها باطلا ً، للسكن صورها) (45: 18) .
كان هذا جزءاً من مقالة عالم الطبيعة البيولوجية فرانك ألن ماجستير ودكتوراه من جامعة كورنل - أستاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتويا بكندا من سنة 1904 إلى سنة 1944- اخصائي في أبصار الألوان والبصريات الفسيولوجية وإنتاج الهواء السائل ، وحائز على وسام توري الذهبي للجمعية الملكية بكندا.

4- دليل الفقر الذاتى و الغنى الذاتى:
ومفاده هو أن كل موجود مفتقر فى وجوده و فى بقائه و فى كل حال من أحواله إلى غيره فكان كل موجود فقيرا ً يحتاج فى قيامه إلى غيره ويحتاج غيره فى قيامه إلى غيره فلزم إثبات الغنى بذاته القائم بذاته المقيم لغيره و إلا لزم التسلسل الممتنع،و شواهد الافتقار في أعيان العالم واحتياجها إلى الصانع بينة ظاهرة بل معلومة بالبديهة لا ينكرها إلا مكابر معاند، بل والواقع أن دليل الإمكان الذي ذكرناه و دليل القدم و الحدوث ودليل الإختراع و دليل العناية ما هي إلا أمثلة لهذا الدليل فالإمكان دليل على الإفتقار و كذلك الحدوث دليل على افتقار المحدَث إلى محدِث فإن قيل أن المجموع قد يستغني ببعضه و إن كانت الاحاد مفتقرة إلى غيرها قلنا إذا كان من الأمور ما هو ممكن في نفسه، ومعنى إمكانه أنه لا يستحق بنفسه وجوداً ويمتنع وجوده بنفسه، وهو بالنظر إلى نفسه فقير محض، أي الفقر الذاتي الذي يمتنع

معه غناه بنفسه، وسواء قلنا: إن عدمه لا يفتقر إلى
مرجح أو قلنا إن عدمه لعدم المرجح، وقدرنا عدم
المرجح، فهو في الموضعين لا يستحق إلا العدم، لا
يستحق وجوداً أصلا ً.فكثرة مثل هذا، وتقدير ما
لا يتناهى من هذا الضرب، لا يقتضي حصول وجود
له، أو غني في وجوده عن غيره، ولا وجود بعض
هذه الأمور ببعض، فإن كثرة هذه الأمور التي لا
تستحق إلا العدم توجب كثرة استحقاقها للعدم،
وكثرة افتقارها إلى موجد يكون موجوداً
بنفسه.فإذا قدر أمور لا نهاية لها، ليس فيها شيء
يستحق الوجود، كان قول القائل: إن بعضها يوجد
بعضاً، في غاية الجهل.فإن مالا يستحق في نفسه
أن يكون موجوداً، كيف يستحق أن يكون موجوداً و
موجداً !
بل إنه كلما كثرت زاد الافتقار والحاجة كما أنه كلما
ضم المعدوم إلى المعدوم كثر المعدوم فإذا قدر علل
لا تتناهى كل منها معلول أو فاعلون لا يتناهون كل
منهم مفعول فهذه كلها مؤثرات أبدعها غيرها وكل
منها ممكن بنفسه محتاج إلى غيره قد أبدعه غيره
ليس فيها ما هو موجود بنفسه فإذا قدر عدم
تناهيها كان ذلك تكثيرا للحاجة والافتقار إلى
الموجود بنفسه وتكثيرا للممكنات التي هي معدومة
بنفسها لا توجد إلا بموجود غيرها فكثرتها وعدم
تناهيها لا يخرج شيئا ً منها عن أن يكون ممكنا ً
مفتقرا ً إلى غيره وأنه إذا لم يكن له مبدع كان
معدوما ً بل المجموع مفتقر إلى كل من الأفراد
وإذا كان كل من الأفراد ممكنا ً مفتقراً إلى غيره ف
المجموع المتوقف على كل من الأفراد أولى أن
يكون ممكنا ً مفتقرا ً إلى غيره ثم إن المجموع
كما ذكرنا ما هو إلا الأفراد و الهيئة الإجتماعية و كلا

اهما ممكن مفتقر إلى غيره فكان المجموع مفتقراً إلى الغني بذاته .

دلالة العقل على أن الغني بذاته لا يكون إلا واحداً:

وذلك لأ َنه لَو كانَ أكثر من وَاحِد مَا احْتمل وجود الحوادث إلّا بالإصطلاح وَفِي ذَلِك فَسَاد كون كل منهما غني بنفسه ولأن الإصطلاح لا يكون إلا بـ التقسيم وهذا ممتنع، فإن العالم مرتبط بعضه ببعض ارتباطاً يوجب أن الفاعل هذا ليس هو مستغنياً عن فاعل الآخر، لإحتياج بعض أجزاء العالم إلى بعض،ولو قيل ماذا لو افترضنا توافق الإ رادات قلنا إن القول بتوافق الإرادات التام في كل الحوادث هو ممتنع فإنهما يجب أن يتخالفا بالذات، وإلا لما تصوّر العدد- والمتخالفان بالذات يجب أن يتخالفا في الصفات و في الأفعال والإرادات و المحبوبات و المبغوضات، ثم إن توافق الإرادات لا يعنى قيام الفاعلين بنفس الفعل بل القائم بالفعل لا يكون إلا واحداً .

ثم إذا تنافت الإرادات فإما أن لا يتم مراد احدهما فـ لا يكون أيهما غني بنفسه أو يتم مراد احدهما فيكون هو الغني بذاته و يكون الآخر مفتقراً إليه ،قـ ال تعالى:" مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" يقول الحافظ ابن كثير: أيْ: لَوْ قُدِّرَ تَعَدُّدُ الْآلِهَةِ، لَانْفَرَدَ كُلٌّ مِنْهُمْ بِمَا يَخْلُقُ، فَمَا كَانَ يَنْتَظِمُ الْوُجُودُ. وَالْمُشَاهَدُ أَنَّ الْوُجُودَ مُنْتَظِمٌ مُتَّسِقٌ، كُلٌّ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ مُرْتَبِطٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، فِي غَايَةِ الْكَمَالِ، {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ} ثُمَّ لَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَطْلُبُ قَهْرَ الْآخَرِ وَخِلَافَهُ، فَيَعْلُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. وَالْمُتَكَلِّمُونَ

ذَكرُوا هَذَا المَعْنَى وَعَبّرُوا عَنْهُ بِدَلِيلِ التّمَانُعِ، وَهُوَ أَنّهُ لَوْ فُرِضَ صَانِعَانِ فَصَاعِدًا، فَأَرَادَ وَاحِدٌ تَحْرِيكَ جِسْمٍ وَأَرَادَ الْآخَرُ سُكُونَهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ مُرَادُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَانَا عَاجِزَيْنِ، وَالْوَاجِبُ لَا يَكُونُ عَاجِزًا، وَيَمْتَنِعُ اجْتِمَاعُ مُرَادَيْهِمَا لِلتّضَادّ. وَمَا جَاءَ هَذَا المُحَالُ إلّا مِنْ فَرْضِ التّعَدُّدِ، فَيَكُونُ مُحَالًا فَأَمّا إِنْ حَصَلَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، كَانَ الْغَالِبُ هُوَ الوَاجِبُ، ويقول القاسمي: إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بِما خَلَقَ ، وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ لأنه يجب أن يتخالفا بِ الذات، وإلا لما تصوّر العدد- والمتخالفان بالذات يجب أن يتخالفا في الأفعال فيذهب كل بما خلقه، ويستبد به، ويظهر بينهم التحارب والتغالب، فيفسد نظام الكون.

فإذا قيل يلزمكم أن إثبات الصفات تنافي كون الرب غنياً بذاته و أنتم تثبتون الصفات فلزمكم التناقض فدل نفس دليلكم على بطلان مذهبكم، قلنا إن كون الرب غنياً بذاته يمتنع معه أن يكون مفتقرا ً إلى ما هو خارج عن نفسه، فأما ما كان صفة لا زمة لذاته، وهو داخل في مسمى اسمه فلا يكون افتقاراً فقول القائل: إنه مفتقر إليها، كقوله: إنه مفتقر إلى نفسه، فإن القائل إذا قال: دعوت الله، أو عبدت الله، كان اسم "الله" متناولا للذات المتصفة بصفاتها، ليس اسم "الله" اسما للذات مجردة من صفاتها اللازمة لها.وحقيقة ذلك أن لا تكون ذاته إلا بصفاته، ولا تكون نفسه إلا بما هو داخل في مسمى اسمها، وهذا حق. ولكن قول القائل: إن هذا افتقار إلى غيره، تلبيس،فالصفات لا تكون غير الموصوف ولا منفصلة عنه بل هي غير الذات فقط في التصور الذهني أما في الخارج فليست زائدة على الذات و قد بينا ذلك في دليل الوجوب و الإمكان .

و الغني بذاته يجب أن يتصف أزلاً بالصفات التي تجعله غنيا بذاته غير مفتقراً إلى ما سواه و التي تجعل غيره مفتقراً إليه و إلا لم يكن غنياً بذاته فوجب أن يوصف بالخلق القدرة والإرادة و الحياة والعلم و السمع و البصر و الكلام و القوة و القهر و الملك و السلطان و العزة ويتنزه عما يضاد غناه مما يوصف به الفقراء إليه فهو منزه عن الحاجة إلى الولد و الزوجة و الولي من الذل الذي يتعزز به و هو منزه الجهل و العجز و الضعف و عن النسيان و الغفلة و الموت و النوم و هذا كله في الأزل فصفاته الذاتية يجب أن تكون أزلية- وسيأتي الكلام عما يستحق الرب من صفات في باب منفصل بإذن الله تعالى.

و يثبت أيضاً كونه بائناً عن خلقه ودليلنا أنه لما خلق الخلق فإما أن يخلقهم في ذاته أو خارجاً عنه أو في غير محل و الثالث ممتنع عقلاً و الأول ممتنع لأنه يؤدي إلى أن ذاته تقبل التركيب المادي وما كان كذلك لم يكن غنياً بذاته ، فيلزم أن الغني بذاته بائن عن الخلق. لا يحل في خلقه لأنه يكون مفتقراً إليهم حينئذ و لا يحل في ذاته شيء منها .

و الغني بذاته هو الذي يفعل ما يريد لا يمنعه مانع و لا يحتاج في فعله إلى غيره و إلا لم يكن غنياً بذاته يشير لذلك قوله تعالى:" قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ " ، بل إن الغني بذاته هو الذي بلغ الغاية في جميع أنواع الكمالات فإن نقص أحد الكمالات عن الغاية التامة يمتنع معه

كونه غنياً بذاته فإن أثبتنا له قدرة ناقصة كان محتاجاً في أفعاله إلى غيره و إن أثبتنا له علماً ناقصاً كان محتاجاً لغيره لتحصيل ذلك العلم و هكذا دواليك.

فإن قيل إن كان الرب هو الغني بذاته فلِما خلقنا فإن الفعل لا يخلو من أن يكون لإحراز مَنْقَعَة أو لدفع مضرّة فيكون مفتقراً أو طبعاً فيلزم قِدَم المفعولات أو أن يكون عبثاً وهو مناقض للحكمة، فنقول إن أفعال الرب هي من باب الممكنات أي يمكن وجودها أو عدمها والمرجح فيها إنما هو الإ رادة و الإرادة ترجح وفقاً لما يحبه المريد ولمقتضى صفاته ، فالرحيم يريد أن يرحم و العادل يريد أن يعدل و الخالق يريد أن يخلق و الذي يحب شيئاً يريد وقوعه و الذي يحب التوابين و يحب المتطهرين يخلق المخلوق الذي من صفاته إمكان المعصية و التوبة و يقدر معصيته و توبته لحبه إياها و الذي يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً يخلق من المخلوقات ما يمكنه القتال و يخلق عدوهم ويقدر بينهم القتال ليحصل ما يحب حدوثه فكان وجود الكون هو مقتضى صفاته سبحانه و تعالى، ولا يلزم من هذا أن يكون مفتقراً فالرب الصانع الغني عما سواه، لا يفتقر في شيء من ذاته وصفاته وأفعاله إلى أمر منفصل عن ذاته ، فلا يحتاج فيما يجدده من أفعاله القائمة بنفسه التي يريدها ويقدر عليها إلى أمر منفصل عنه، كما لا يحتاج في مفعولاته المنفصلة عنه إلى ذلك ، وإذا كان قد خلق من الأمور المنفصلة عنه ما جعله سبباً لأفعال تقوم بنفسه، كما يخلق الطاعات التي ترضيه، والتوبة التي يفرح بها، والدعاء الذي يجيب سائله، وأمثال ذلك من الأمور، فليس هو في شيء من ذلك

مفتقراً إلى ما سواه، بل هو سبحانه الخالق للجميع، وكل ما سواه مفتقر إليه، وهو الغني عن كل ما سواه، وهذا كما أن ما يفعله من المخلوقات بعضها ببعض، كإنزال المطر بالسحاب وإنبات النبات بالماء، لا يوجب افتقاره إلى الأسباب المنفصلة، إذ هو خ الق هذا وهذا، وجاعل هذا سبباً لهذا .
و الخلق جميعاً لا يقدرون على نفعه أو ضره و هم إن أطاعوا فبقصد حصول أغراضهم من رضاه عنهم و إثابته لهم وهو سبحانه منزه عن نعوت المخلوقين الناقصين المحتاجين إلى غيرهم في اجتلاب منافعهم ودفع مضارهم كما يوجد أن الحي من الإنسان وغيره يطلب ما ينفعه ويلائمه ويدفع ما يخاف منه الضرر على نفسه وعلى غيره من غيره أما الرب سبحانه وتعالى فغني عن العالمين لا يحتاج إليهم بل هو الأحد الصمد الحي القيوم وهو سبحانه لايخاف ضرر شيء لا على نفسه ولا على غيره بل العباد عاجزون عن أن يلحقوا به ضررًا أو نفعا ً قال تعالى في الحديث الصحيح الذي رواه رسوله صلى الله عليه وسلم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني " وقوله لن تبلغوا أي لن تستطيعوا و لا ينفي هذا أن الله سبحانه و تعالى يحب أفعاله و يرضاها و يحب ما يترتب عليها من آثار، وهو إذا فرح ورضي بما فعله بعضهم فهو سبحانه الذي خلق فعله، كما أنه إذا فرح ورضي بما يخلقه فهو الخالق، وكل الذين يؤذون الله ورسوله هو الذي مكنهم وصبر على أذاهم بحكمته، فلم يفتقر إلى غيره ولم يخرج شيء عن مشيئته ولم يفعل أحد ما لا يريد، صدق الله إذ قال :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ* إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ "

تذكرة لهم و دعوة لهم لطاعة الغني بذاته التي فيها نفعهم، قال الشوكاني: ذَكَرَ سُبْحَانَهُ افْتِقَارَ خَلْقِهِ إِلَيْهِ، ومزيد حاجتهم إلى فضله، فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ أَيِ: الْمُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِ الدِّينِ والدنيا، فهم الفقراء إليه على الإطلاق وَهُوَ الْغَنِيُّ عَلَى الْإِطْلَاقِ الْحَمِيدُ أَيِ: الْمُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ مِنْ عِبَادِهِ بِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ. ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ نَوْعًا مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي يَتَحَقَّقُ عِنْدَهَا افْتِقَارُهُمْ إِلَيْهِ، وَاسْتِغْنَاؤُهُ عَنْهُمْ فَقَالَ: إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ أَيْ:إِنْ يَشَأْ يُفْنِكُمْ وَيَأْتِ بَدَلَكُمْ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ يُطِيعُونَهُ وَلَا يَعْصُونَهُ، أَوْ يَأْتِ بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَلْقِ، وَعَالَمٍ مِنَ الْعَالَمِ غَيْرِ مَا تَعْرِفُونَ وَما ذلِكَ الإ ذهاب لَكُمْ وَالْإِتْيَانُ بِآخَرِينَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ أَيْ: بِمُمْتَنِعٍ وَلَا مُتَعَسِّرٍ.

فإن قيل ولكننا نرى في الحياة من الأحداث ما لا يريده ربكم و لا يحبه من الوقائع و الأحداث بل و يبغضها و أنتم تقولون أن المرجح في الأفعال و عدمها هو الإرادة فكيف يقع هذا؟

لا بد هنا من ملاحظة أن الحركة الإرادية تابعة لإ رادة المتحرك والمراد إما أن يكون مرادا ً لنفسه أو لغيره ولا بد أن ينتهي المراد لغيره إلى مراد لنفسه دفعا للدور والتسلسل ،وهذا كما نقوله في خلقه بالأسباب أنه يخلق كذا بسبب كذا وكذا بسبب كذا حتى ينتهي الأمر إلى أسباب لا سبب لها سوى مشيئة الرب فكذلك يخلق لحكمة وتلك الحكمة لحكمة حتى ينتهي الأمر إلى حكمة لا حكمة فوقها، فلا يكون الفعل إلا عن محبة وإرادة حتى دفعه للأ مور التي يبغضها ويكرهها فإنما يدفعها بإرادته ومحبته لأضدادها ومن الأفعال ما يكون في ذاته مبغوضاً للفاعل و لكن له آثاراً محبوبة له كمن يقطع

يده بسبب الأكلة حفاظاً على سلامة البدن كله
وكذلك من أفعال الرب عز و جل فيكون الفعل
مراداً من جهة التكوين و إن كان مكروهاً من جهة
التشريع ككفر الكفار فهو مبغوض من جهة التشريع
منهي عنه لأن الفعل في ذاته مكروه لله عز و جل و
لكن لما له من آثار يحبها اللّٰه عز وجل من أن يبتلي
أوليائه و يرى صبرهم ويرى حرصهم و بذلهم في
دعوتهم للإيمان و يتخذ منهم شهداء فكان ذلك
مراداً لغيره، ،وَلو عدنا للتمثيل باليد المتأكلة فقطعهَا
فِي ضمنه الخَيْر الجزيل وَهُوَ سَلامَة البدن وَلَو ترك
قطعهَا لحصل هَلَاك البدن وَلَكِن قطعهَا لِسَلَامَةِ البدن
شَرّ وَفِي ضمنه الخَيْر لَكِن المُرَاد الأعلى السّابِق إِلَى
نظر القَاطِع هُوَ السّلامَة الَّتِي هِيَ خير مَحْض وَهِي
مَطْلُوبَة لذاتها ابْتِدَاء وَالقطع مَطْلُوب لغيره ثَانِيًا لَا
لذاته فهما داخلان تحت الارادة لَكِن أحدهمَا يُرَاد
لذاته وَالْآخر يُرَاد لغيره فَالمُرَاد لذاته قبل المُرَاد
لغيره ولأجل ذَلِك قَالَ اللّٰه تَعَالَى {سبقت رَحْمَتي
غَضَبي} فغضبه مستلزم لارادته الشّرّ بالمغضوب
عليه وَالشّر بإرادته، وَرَحمته تستوجب إرادته الخَيْر
وَالخَيْر بارادته ،وَلَكِن أراد الخَيْر للخير نفسه وَأَرَادَ
الشّرّ لَا لذاته فالخير مُقْتَضى بِالذَّاتِ وَالشّر مُقْتَضى
بِالعرضِ وكل بِقدر وَلَيْسَ ذَلِك مِمّا يُنَافِي الرّحْمَة
أصلا ً والآن إن خطر لَك نوع من الشّرّ لَا ترى فِيهِ
خيرا ً أو خطر لَك انه كانَ يُمكن حُصُول ذَلِك
الخَيْر لَا فِي ضمن ذَلِك الشّرّ فنقول عدم إدراك
العقول لجميع وجوه الخير و الشر المترتبة على كل
فعل هو الأصل فالعقل قد يدرك بعض الآثار و لكن
من ذا الذي يدرك بعقله جميع الآثار المترتبة على
كل فعل من الأفعال في الكون بأكمله و لكن ما
أثبتناه ثبت بالدلائل العقلية التي لا يعارضها غيرها

فالجهل بالحكمة في أمر معين لا يعارض الدليل العقلي على الحكمة وذلك كجهل المريض الذي لا خبرة له بالطب أو من عنده بعض الثقافة الطبية من المجلات و البرامج لماذا يأمره الطبيب المتقن بهذا العلاج دون هذا فإن هذا لا يدل على خطأ الطبيب ولكن على جهل المريض بالطب هذا مع أن التفاوت بين المريض و الطبيب هو تفاوت عرضي يمكن للمريض تحصيله بل و الزيادة فيه على خلاف التفاوت بين الفقير بذاته و الغني بذاته فإنه تفاوت ذاتي لا يمكن تحصيله.

5- دليل الفطرة:

و مدار هذا الدليل على أن الفطرة السليمة قد جبلت على الاعتراف بوجود الله سبحانه وتعالى وتوحيده وعلوه على خلقه، ويظهر هذا الأمر عندما يجد الإ نسان نفسه في حال الإضطرار متوجهاً للرب سبحانه وتعالى قاصداً جهة العلو ولو بالقلب حين الدعاء، وهذا الأمر لا يستطيع الإنسان دفعه عن نفسه فضلا ً عن أن يرد على قائله وينكر هذا الأ مر عليه، فالله تعالى خلق العباد مفطورين على الإ قرار به وبوحدانيته، واعتقاد أنه خالقهم وربهم،و هذه الفطرة هي التي تفسر الظاهرة التي لاحظها الباحثون في تاريخ الأديان، وهي أنّ الأمم جميعاً - التي درسوا تاريخها - اتخذت معبودات تتجه إليها وتقدّ ِسها ، وقد أشار لهذا نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال :" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)"- وكثيراً ما تنكشف الحجب عن الفطرة، فتزول عنها الغشاوة التي رانت عليها عندما تصاب بمصاب أليم، أو تقع في مأزق لا تجد فيه من البشر عوناً، وتفقد أسباب النجاة، فكم

من ملحد عرف ربّه وآب إليه عندما أحيط به، وكم من مشرك أخلص دينه لله لضرّ نزل به (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصفٌ وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا اللّٰه مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين)
و الفطرة تقضي بإثبات الصانع المختار فَلِأَنَّ الصَّبِيَّ الْعَاقِلَ إِذَا وَقَعَتِ اللَّطْمَةُ عَلَى وَجْهِهِ يَصِيحُ وَيَقُولُ: مَنِ الَّذِي ضَرَبَنِي وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ شَهَادَةَ فِطْرَتِهِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّطْمَةَ لَمَّا حَدَثَتْ بَعْدَ عَدَمِهَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ حُدُوثُهَا لِأَجْلِ فَاعِلٍ فَعَلَهَا، وَلِأَجْلِ مُخْتَارٍ أَدْخَلَهَا فِي الْوُجُودِ فَلَمَّا شَهِدَتِ الْفِطْرَةُ الْأَصْلِيَّةُ بِافْتِقَارِ ذَلِكَ الْحَادِثِ مَعَ قِلَّتِهِ وَحَقَارَتِهِ إِلَى الْفَاعِلِ فَبِأَنْ تَشْهَدَ بِافْتِقَارِ جَمِيعِ حَوَادِثِ الْعَالَمِ إِلَى الْفَاعِلِ كَانَ أَوْلَى، لأَ َنَّ الْفِطْرَةَ تشهد بِأَنَّ حُدُوثَ دَارٍ مَنْقُوشَةٍ بِالنُّقُوشِ الْعَجِيبَةِ، مَبْنِيَّةٍ عَلَى التَّرْكِيبَاتِ اللَّطِيفَةِ الْمُوَافِقَةِ لِلْحُكْمِ وَالْمَصْلَحَةِ يَسْتَحِيلُ إِلَّا عِنْدَ وُجُودِ نَقَّاشٍ عَالِمٍ، وَبَانٍ حَكِيمٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ آثَارَ الْحِكْمَةِ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ أَكْثَرُ مِنْ آثَارِ الْحِكْمَةِ فِي تِلْكَ الدَّارِ الْمُخْتَصَرَةِ فَلَمَّا شَهِدَتِ الْفِطْرَةُ الْأَصْلِيَّةُ بِافْتِقَارِ النَّقْشِ إِلَى النَّقَّاشِ، وَالْبِنَاءِ إِلَى الْبَانِي، فَبِأَنْ تَشْهَدَ بِافْتِقَارِ كُلِّ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ الْحَكِيمِ كَانَ أَوْلَى.
وقد أشار القرآن الكريم لهذا الدليل في قوله عز و جل :" قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"

مبحث في معرفة صفات الرب

و التعرف على الرب الغني بذاته يستلزم التعرف على صفاته
و صفات الرب تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه
من الوجوه و يثبُت ذلك من طرق:
1- هي الاستدلال على كماله سبحانه وتعالى بمخلوقاته؛
فإن الإنسان حين يرى المخلوقات وما فيها من الدقة البالغة
، وما فيها من الآثار العجيبة يستنبط منها كثيراً من أسماء
اللّه سبحانه وتعالى وصفاته، و الخلق يدل على العلم و
القدرة و الإرادة وكل من هذه الصفات تدل على صفة
الحياة و صفة الإرادة تدل على المحبة لأشياء و البغض لأ
خرى و دقة المخلوقات و ترتيبها يدل على الحكمة و
تسخير الكون و تيسير الحياة على الإنسان بخلق ما
يحتاجه في حياته يدل على الرحمة وهكذا دواليك.
2-حيث إن الرب عز وجل هو واهب الكمال وهو معطيه، ف
كل كمال للموجود فإنما استفاده من ربه وخالقه، فإذا كان
هو مبدعا ً للكمال وخالقا ً له كان من المعلوم بالاضطرار
أن معطي الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفا به
، فلا يمكن أن يهب الكمال لغيره وهو ناقص بأي وجه من
الوجوه، فالذي جعل غيره كاملا هو أحق بالكمال منه، فالذي
جعل غيره قادرًا أولى بالقدرة، والذي علم غيره أولى بالعلم،
والذي أحيا غيره أولى بالحياة ، و قد أشار لهذا القرآن
الكريم في قول اللّه سبحانه و تعالى : "فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا
فِي الأَ رْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا
أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً" فكان الجواب :
الذي وهب لكم هذه القوة هو أشد منكم قوة؛ لأنكم كنتم و
لا قوة لكم، فأعطاكم هذه القوة، فلا يمكن أبداً أن تكونوا
أقوى منه وهو الذي أعطاكم هذه القوة، وهذا دليل عقلي
شرعي من أوضح الأدلة.
3- أن الرب هو الغني بذاته عن ما سواه والغني بذاته هو
الذي بلغ الغاية في جميع أنواع الكمالات فإن نقص أحد
الكمالات عن الغاية التامة يمتنع معه كونه غنياً بذاته فإن

أثبتنا له قدرة ناقصة كان محتاجاً في أفعاله إلى غيره و إن أثبتنا له علماً ناقصاً كان محتاجاً لغيره لتحصيل ذلك العلم و هكذا ثم إن الموجود إما أن يكون قيوماً بنفسه وإما غير قيوم، وغير القيوم لابد له من القيوم الذي يقيم أمره ، فكان الرب الغني بذاته هو القيوم القائم بذاته المقيم جميع خلقه و القيوم هو الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع المخلوقات وقام بالموجودات كلها، فخلقها وأحكمها ورزقها ودبرها وأمدها بكل ما تحتاج إليه، وهذا الاسم يتضمن إثبات جميع الصفات الفعلية ،والصفات الفعلية لابد أن تكون قديمة النوع حادثة الآحاد لأنها لو كانت حادثة النوع لزم أن ثبوت هذا الكمال له ممكن حادث فيحتاج إلى سبب إما خارجي وهو ممتنع،فإن الرب لا يتوقف ثبوت كماله على غيره لأنه الواجب الوجود بذاته ولأنه الغني بذاته عن ماسواه فلو توقف ثبوت الكمال له على غيره لكان مفتقراً لغيره فصفات كماله الذاتية كلها قديمة ازلية ،أو يكون السبب هو نفس ذات الرب فيلزم القدَم لأن المعلول لا يتراخى عن معلوله،ولو كانت قديمة الآحاد لزم قدم جميع الموجودات و هو ممتنع لمخالفته للمشاهد و لأن من لوازم الغنى الذاتي فعل ما يشاء وقتما يشاء فجنس الكلام و الخلق والرزق قديم وأنواعه تحدث شيئا ً فشيئا ً على حسب حكمة الرب سبحانه و إرادته .
ومعرفة صفات الرب على التفصيل يكون بطريقين العقل الذي يثبت صفات كالعلم و القدرة و غيرها و صفات أخرى لا يمكن للعقل الجزم بإثباتها ولا نفيها فالعلم و إن أثبت البصر لكن لا يمكنه إثبات ما يبصر به الرب و هل يبصر بعين أم بغيرها وهل يبصر بعين واحدة أم إثنان أو أكثر ولكن يتوقف فيها إلى أن يأتي خبر صادق من الرب نفسه أو بواسطة نعلم صدقها وهذه نسميها صفات خبرية لأنه لا مسلك لمعرفتها إلا الخبر الصادق .
- نماذج للكلام على صفات الرب الثابتة بالعقل:

1- صفة العلم :فالرب يجب أن يكون عالماً بتفاصيل الأمور وخباياها فالخالق لا يتصور ان يخلق ما يجهل ثم إن الرب الغني بذاته من لوازم غناه شمول علمه المكاني و الزماني فلو نقص علمه ما كان غنياً بذاته ولافتقر إلى غيره و إلى هذا أشار القرآن في قول الله تعالى:" أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" وهو يعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون لأن الرب في أفعاله يختار بين الممكنات و يرجح بإرادته فلو لم يعلم ما يترتب على هذه الإختيارات جميعاً لم يكن غنياً بذاته بل كان مفتقراً إلى من يُعلمه بذلك حتى يختار ما يوافق إرادته وهو العالم لطبائع الخلق و ما يصلحهم و ما يفسدهم كيف لا وهو الخالق لهم و لطبائعهم ، وكمال العلم يلزم منه إثبات كمال الإدراكات كالسمع و البصر.
2- القدرة:فالرب الغني بذاته لابد أن يكون قادراً قدرة كاملة شاملة لأن من عجز عن شيء من الأشياء لم يكن غنياً بذاته بل كان مفتقراً إلى غيره فلم يستحق أن يكون رباً قال المولى عز و جل :"فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ *أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا" فلما كان العجل غير قادر على النفع او الضر كان منكراً في الأذهان أن يكون هذا هو إله موسى رب العالمين.
3- الإرادة :فالرب الخالق الذي يفعل ما يشاء لابد أن يكون ذو إرادة ، والإرادة من لوازم الغنى الذاتي كما بينا من قبل، والإرادة تستلزم إثبات المحبة والبغض فإن الأفعال الإ ختيارية لا تكون إلا بالإرادة و الإرادة أصلها إختيار ما يحبه و ترك ما يبغضه.
4-الحياة:فإن القدرة و العلم و الإرادة لا تقوم إلا بحي أما من ليس بحي فلا يصدر منه فعل أصلا ً فضلا ً عن أن يوصف بالعلم و الحكمة فالميت لا يكون عالما ً والعلم بهذا ضروري،و لأن الحياة صفة كمال فلا يشك عاقل في أن الحي أكمل من الميت وقد ثبتت للمخلوق فكان الغني بذاته

خالق الحياة وواهبها أحق أن يتصف بها ،و الغني بذاته هو الحي الكامل في حياته و كمال الحياة يكون بكمال الإ دراكات و الأفعال والحركات فيلزم من كمال الحياة إثبات صفة الكلام لأنه لا خلاف أن الحي المتكلم أكمل في حياته من الحي الغير متكلم ويلزم منها إثبات صفتي السمع و البصر و سائر الإدراكات لأن الحي الذي يسمع و يبصر أكمل من الحي الذي لا يسمع و لايبصر وكذلك نثبت للرب جنس الحركة لأن الحي المتحرك بالإرادة أعلى رتبة و أكمل حياة من الحي الغير متحرك بالإرادة لذا كان جنس الإنسان و الحيوانات أكمل في حياتهما من جنس النبات بل إن الحركة هي دليل الحياة و فقدانها علامة الموت ألا ترى أننا نستدل على موت أحدنا بانعدام حركات أعضائه كالنبض و دقات القلب و عدم استجابة الحدقة للمؤثرات.

5-الحكمة:و دليل الحكمة هو التنظيم الدقيق ولأن الْأَفْعَال المحكمة المتقنة الْوَاقِعَة على أحسن ترْتِيب ونظام وإتقان وإحكام لَا تصدر إلَا من عَالم بهَا، والترتيب و الإتقان يدل على الحكمة و هي وضع الشيء في محله .فمن جوز صُدُور خطّ منظوم على ترْتِيب مَعْلُوم من غير عَالم بالخط كان ذلك دليل على جهل ذلك المجوز و سفاهته ويمكن الإستدلا ل لذلك أيضاً بدليل العناية والغاية فالرب لا يفعل إلا لغاية يعلمها علمها العقل أو لم يتوصل إليها فالرب هو الحكيم الذي يضع كل شيءٍ في موضعه .

6-الرحمة:و يظهر اتصاف الرب بصفة الرحمة من خلال دليل العناية فمن رحمته العامة خلقه ما حولنا وتسخير الكون لنا و خلقه على ما يلائم حاجات الإنسان كما أشار لذلك القرآن قائلا ً:" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ"، ثم إن أقوى أدلة إثبات الرحمة للرب سبحانه و تعالى هو خلقه للرحمة في قلوب عباده فمن ذا الذي جعل الأم ترحم إبنها و

ترعاه و تعتني به ومن خلق بداخلها تلك الشفقة و تلك الغريزة ولولا ذلك لهلك الصغار فهذه الرحمة نفسها هي دلا لة على رحمة الله العامة ثم الناظر في هذه الرحمة العامة يدرك ولاشك ان الرب لابد أن يتصف برحمة خاصة بالذين يحبهم و يحبونه فمقتضى الحكمة والعدل يمنع أن تكون رحمته بالمخلوق العاصي مساوية لرحمته بـ
المخلوق الطائع .
7-العدل:فالرب الغني بذاته لا بد و أن يكون عادلا ً في أوامره و نواهيه و مثوباته و عقوباته لأن الظلم قبيح في ذاته و إنما موجب الظلم إما تحقيق منفعة للنفس لا يصل إليها الظالم إلا بهذا الظلم أو الجهل أو السفاهة فلما تنزه عن هذه الموجبات الرب سبحانه وجب إثبات كمال عدله لكمال علمه و كمال حكمته و كمال قدرته.
8-الصبر و الحلم: والحلم هو عدم المعاجلة بالعقوبة والرب الغني بذاته القادر على كل شيء بلا ممانع ولا معارض القوى المتين الذي يقدر على الأخذ بمن يسيء إليه و لكنه يصبر و يحلم فهُوَ الّذِي يُشَاهد مَعْصِيّة العصاة وَيرى مُخَالفَة الْأمر ثمّ لَا يستفزه غضب وَلَا يَعْتَرِيه غيظ وَلَا يحملهُ على المسارعة إِلَى الانتقام مَعَ غَايَة الاقتدار.
9-الملك : فالرب سبحانه هو المستحق لأن يملك ما في السماوات و الأرض جميعاً لأنه الخالق و الموجد للأشياء و الخالق للشيء أحق بامتلاكه و كل ما سواه مربوب له مملوك له وهو القادر الذي يملك بقدرته أن يتصرف كما يشاء في مملوكاته دون ممانع أو معارض فهو المالك على الحقيقة إذ علامة الملك التام هو الإستحقاق و نفوذ التصرف وهو لا يتصرف إلا بمقتضى العلم و الحكمة لانهما صفته ، و كل ما سواه فملكه ناقص لنقص الإستحقاق و نقص التصرف و لأن ذاته نفسها مملوكة لربها خالقها وبارئها وموجدها المتصرف فيها كما يشاء و من مقتضيات ملكه للأ شياء أن يحكم و يأمر و ينهى و يبيح   و يحظر و من

لوازم الملك و الحكمة أن يثيب الممتثل و يعاقب الممتنع فليس من الحكمة و العدل أن يجعل من امتثل أحكامه و من امتنع عنها سواء وليس منها أن يجعل الإحسان أو العقاب في ما لا يصلح محلا ً لهما .
10-البينونة عن الخلق: فالقائم بغيره من الصفات والأعراض يكون بحيث يكون غيره فإن الصفات والأعراض تقوم بالمحل الواحد وأما القائم بنفسه فلا يكون حيث يكون آخر قائم بنفسه بل يجب أن يكون مباينا ً لغيره فيكون حيث لا موجود غيره أو حيث لا قائم بنفسه غيره.
و كذلك كل كمال ثبت للمخلوق لا يلزم منه نقص وجب إثباته للرب الغني بذاته و إلا امتنع كونه الغني بذاته و كان مفتقراً إلى غيره.
ثم إن العلم بصفات الرب هو من أهم العلوم إذ الرب هو الخالق الفعال والعارف بالله يستدل بما عرف من صفاته على أفعاله كلها و أحكامه و تشريعاته لأنه سبحانه لا يفعل إلا مقتضى صفاته ثم إن معرفة الرب بصفاته تعرفنا ما يجب له من حقوق ، فالعالم كله بما فيه من جبال و بحار و سهول ووديان و بشر و حيوان و نبات وحركات و سكنات كل ذلك من آثار أسمائه و صفاته و يدل عليها.

مبحث في وجوب شكر المنعم

علمنا أن الرب هو الذي أوجد المخلوق ثم صوره في أحسن الصور و أنسبها لحياته و احتياجاته و أنه أنعم عليه بشتى ألوان النعم فإذا تأمل الإنسان هذا العالم بعين البصيرة وجده كالبيت المبني، المعد فيه جميع آلاته ولوازمه ومصالحه، وكل ما يحتاج إليه،فالسماء سقفه المرفوع، والأ

أرض مهاد وبساط، وسكن وفراش، وذلول، والشمس والقمر سراجان يزهران فيه، والنجوم مصابيح له وزينة، وأدلة للمسافر في طرق هذه الدار،وأنواع النبات مهيأ لمآربه من حلو وحامض، وحار وبارد، وحبوب وثمار وأزهار،وصنوف الحيوان مصرفة لمصالحه، فمنها المأكول، ومنها المركوب، ومنها الحلوب، ومنها اللباس والأمتعة والحراسة.
والجواهر والمعادن خلقها اللّه، وجعلها مخزونة فيه ك الذخائر المهيأة، كل منها لشأنه الذي يصلح له، من ذهب وفضة، ونحاس وحديد،وجعل سبحانه النار للتسخين والإ نضاج، والماء للشرب والتبريد، والهواء للتنفس والتنشيف، و الجو للشمس والقمر يجريان فيه، والسحب والطير يسبحان فيه.
وجعل سبحانه الإنسان كالملك المتجول في ذلك كله، المتصرف فيه بفعله وأمره، وكل ما فيه سخر له: "أَلَمْ تَرَوْا أَنّ اللّهَ سَخّرَ لَكُمْ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ "
و إذا تأمل في خلقه وجد أن الرب قد خلق له آلات الإ حساس وآلات الحركة في طلب الغذاء وغيره فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس لأنه إذا لم يحس أصلا ً فليس بحيوان وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ويماسه فإن الإ حساس مما يبعد منه إحساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فإنها إذا غرز فيها إبرة انقبضت للهرب لا كالنبات فإن النبات يقطع ف لا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصاً كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من

حيث يبعد عنك بل ما يمس فتحس به فتجذبه إلى نفسك فقط فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فتحتاج إلى أن تطوف كثيراً من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصاً إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدواً لا حجاب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الأ صوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لأ نك لا تدرك بالبصر إلا شيئاً حاضراً وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق إذ يصل الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذب وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى حساً مشتركاً تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الأمر عليك فإنك إذا أكلت شيئاً أصفر مثلا ً فوجدته مراً مخالفاً لك فتركته فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر ما لم تذقه ثانياً لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً حتى إذا أردت الصفرة حـ َكم أنه مر فيمتنع عن تناوله ثانياً وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات إذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم

يكن لك إلا هذا لكنت ناقصاً فإن البهيمة يـ ُحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص إذا قـ ُيدت وقد تلقي نفسها في بئر ولا تدري أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت إذ ليس لها إلا الإ حساس بالحاضر فأما إدراك العواقب فلا ،فميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى وهي أشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها في الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو من أحسن فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به فواحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم والأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه العيون والجواسيس يقتنصون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي مختومة ويسلمها إذ ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها فأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم الإنهاءات إليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في إتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعمة الله

عليك في الإدراكات ولا تظنن أنا استوفيناها اعلم أنه لو
خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك
ميل في الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة
لكان البصر معطلا ً فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع
الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والإ
دراك معطلا ً في حقه فاضطررت إلى أن يكون لك ميل
إلى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى
كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى
فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك حتى تتناول
وتغتذي فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات
دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار
الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك فخلق الله لك الكراهة عند
الشبع لتترك الأكل بها لا كالزرع فإنه لا يزال يجتذب الماء
إذا انصب في أسفله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدر
غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى
وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق
لك شهوة الجماع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا
عليك عجائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم
الحيض وتأليف الجنين من المني ودم الحيض وكيفية خلق
الأنثيين والعروق السالكة إليها من الفقار الذي هو مستقر
النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة
العروق وذلك لا يكفيك فإنه تأتيك المهلكات من الجوانب
فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا
يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولأخذ منك كل ما حصلته من
الغذاء فإن كل واحد يشتهي ما في يديك فتحتاج إلى
داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب الذي به تدفع
كل ما يضادك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة و
الغضب لا يدعوان إلى إلا ما يضر وينفع في الحال وإما في
المآل فلا تكفي فيه هذه الإرادة فخلق الله تعالى لك إرادة
أخرى مسخرة تحت إشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق

الشهوة والغضب مسخرة تحت إدراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل إذ كان مجرد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلا ً تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل إلى العمل بموجب هذه المعرفة وهذه الإرادة أفردت بها عن البهائم إكراماً لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب اعلم أن الحس لا يفيد إلا الإدراك والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب فكم من مريض مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه أن يمشي إليه لفقد رجله أو لا يمكنه أن يتناوله لفقد يده أو لفلج وخدر فيهما فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهية هرباً فلذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التي تنظر إلى ظاهرها و لا تعرف أسرارها فمنها ما هو للطلب والهرب كالرجل للإ نسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كا لأسلحة للإنسان والقرون للحيوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافاً كثيراً فمنها ما يكثر أعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له أربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الأعضاء التي بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تكفي ما لم تتمكن من أن تأخذه فافتقرت إلى آلة باطشة فأنعم الله تعالى عليك بخلق اليدين وهم طويلتان ممتدتان إلى الأشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثنى إليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضاً بخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل به تمام غرضك فوضعها وضعاً إن بسطتها كانت لك مجرفة وإن

ضمتها كانت لك مغرفة وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب
وإن نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها
أظفارا وأسند إليها رءؤس الأصابع حتى لا تتفتت وحتى
تلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تحويها الأصابع فتأخذها
برءوس أظفارك ثم هب أنك أخذت الطعام باليدين فمن أين
يكفيك هذا ما لم يصل إلى المعدة وهي في الباطن فلا بد
وأن يكون من الظاهر دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه
فجعل الفم منفذاً إلى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة
سوى كونه منفذاً للطعام إلى المعدة ثم إن وضعت الطعام
في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج إلى
طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمتين
وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس العليا على السفلى
لتطحن بهما الطعام طحناً ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر
وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك فقسم الأ
سنان إلى عريضة طواحين كالأضراس وإلى حادة قواطع ك
الرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب فانظر إلى عجيب
صنع الله تعالى ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء الفم
فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان أو كيف تستجره
الأسنان إلى نفسها وكيف يتصرف كاليد في داخل الفم
فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان فإنه يطوف في
جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب
الحاجة هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق
والحكم التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب أنك قطعت الطعام
وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن ينزلق إلى
الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان
عيناً يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى يتعجن
به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فإنك ترى الطعام
من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب
أشداقك والطعام بعد بعيد عنك ثم هذا الطعام المطحون
المتعجن من يوصله إلى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على

أن تدفعه باليد ولا يد في المعدة حتى تمتد فتجذب الطعام
فانظر كيف هيأ الله تعالى المريء والحنجرة وجعل على
رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنضغط حتى يتقلب
الطعام بضغطه فيهوي إلى المعدة في دهلين المريء فإذا
ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح
لأن يصير لحماً وعظماً ودماً على هذه الهيئة بل لا بد وأن
يتحول تحولا تاما حتى تتشابه أجزاؤه فخلق الله تعالى
المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه
وتغلق عليه الأبواب فلا يزال لابثاً فيها حتى يتم، وهذا لا
يمثل إلا غيض من فيض من نعمة الله علينا في أبداننا في ا
لإغتذاء بالطعام ثم النظر في المشرب، والملبس، والمسكن،
والمركب و سائر ما نحتاجه .
و لمعرفة مقدار النعم علينا أن نتخيل فقدانها فلنتأمل حَال
من عدم الْبَصَر وَمَا يَنَالهُ من الْخلَل فِي أُمُوره ثم نطرد ذلك
في سائر الحواس والنعم فَإِنَّهُ
لَا يعرف مَوضِع قدمه وَلَا يبصر مَا بَين يَدَيْهِ وَلَا يـ ـفرق
بَين الألوان والمناظر الْحَسَنَة من القبيحة وَلَا يتَمَكَّن من
استفادة علم من كتاب يقرأه ولايتهيأ لَهُ الِاعْتِبَار وَالنَّظَر فِي
عجائب ملك الله هَذَا مَعَ أنه لَا يشْعر بِكَثِير من مَصَالِحه
ومضاره فَلَا يشْعر بحفرة يهوى فِيهَا وَلَا بحيوان يَقْصِدهُ ك
السبع فيتحرز لَهُ وَلَا بعدو يهوى نحوه ليَقْتُلهُ وَلَا يتَمَكَّن من
هرب إن ط ـلب بل هُوَ م ـلق السّلا ـم لمن رامه بأذى
وَلَوْلَا حفظ خَاص من الله لَهُ قريب من حفظ الْوَلِيد وكلاءته
لَكانَ هلاكه اقْربْ من سَلَامَته.
وفي القرآن يقول الرب :"أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً
وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ" – ويقول :" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا
لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ

الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ"

وبمشاهدة النعمة يتولد في القلب الحب والتعظيم للمنعم، ويخبت لطاعة من أنعم بها عليه، وكلما ازداد العبد علماً ومعرفة بحقيقة النعمة ومقدارها ازداد طاعة ومحبة، وإنابة وإخباتاً، وشكراً .

والنعمة على قسمين:

أحدها: نعمة تفرد الله بإيجادها نحو أن خلق ورزق.

الثانية: نعمة وصلت من جهة غير الله في ظاهر الأمر، وفي الحقيقة أنها وصلت من الله تعالى، وذلك لأنه تعالى هو الخالق لتلك النعمة ، والخالق لذلك المـ ُنعم ، والخالق لداعية الإنعام في قلب ذلك المـ ُنعم، إلا أنه لما أجرى تلك النعمة على يد ذلك العبد، كان ذلك المخلوق مشكوراً، ولكن المشكور في الحقيقة هو الله تعالى.

وإذا تأملنا هذه النعم علمنا بوجوب شكر المنعم بها و لما كان شكر المنعم على قدره وعلى قدر نعمه ولا يقوم بذلك أحد ولا يستطيع، وهو حقه و له المطالبة به إن لم يغفر ويعفو علمنا أن ما يسعنا هو الإجتهاد في شكره وطلب العفو عن التقصير في الشكر لا بلوغ ما يستحقه سبحانه من الشكر و علمنا بأنه متفضل علينا بقبول الشكر اليسير على النعم الجزيلة و شكر المنعم يكون باللسان شكراً له و حمداً له و ثناءً على فعله و بالقلب تعظيماً له وإقراراً بحقه و تواضعاً له و محبةً له و بالجوارح فعلا ً لمحبوباته و تودداً له و تركاً لمبغوضاته فمن أعرض عن شكر المنعم على إنعامه مع قدرته عليه بل و جعل النعم في فعل مبغوضاته لم يكن اهلا ً للرحمة والإحسان وكان الإحسان إلى مثل هذا مُخلا ً بالحكمة بل كان مقتضى العدل و الحكمة أن يكون أهلا ً للعقاب الشديد أما من اعترف بالفضل و الإ حسان وعرف للمنعم حقه و عمل على شكره وانقاد لإرادته

و لكن قصر تقصيراً مخلاً في أداء الشكر و فعل بعض ما يبغضه الرب مع مقدرته على أداء ما هو أفضل و لكن غلبته الغفلات و الشهوات وحظوظ النفس و هو مع ذلك معترف بحق المنعم معظماً لقدره معترفاً بتقصيره في شكر المنعم كان مثل هذا مستحقاً للعقاب ولكن لا تمنع الحكمة العفو عن مثل هذا و الإحسان إليه لذا فالعقل يجوز أن مثل هذا قد يُعاقب و قد يُعفى عنه بخلاف السابق.

مبحث في الكلام على البعث و الجزاء:

أولا: في إمكان البعث:

فالبعث لا مستحيل فيه فإن الرب الغني بذاته لا يعجزه شيء و القادر على فعل ما يشاء ولو عجز عن ذلك إذا أراده انتفى كونه غنياً بذاته وكان مفتقراً و احتجنا إلى إثبات غنياً بذاته آخر فلزم إمكان البعث للأجساد ثم إن البعث للأجساد ليس بأصعب من خلقها ابتداءً و إلى هذا أشار القرآن في قوله تعالى:" يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ"- "وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ"-" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"-ثم إنا أثبتنا ان الرب يخلق الحياة في الجمادات فما المانع من أن يعيد خلق الحياة مرة اخرى في الأجسام المتحللة وقد جمع القرآن البراهين الدالة على إمكان البعث في قوله تعالى:" وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" .

و قد يظن البعض استحالة ذلك فَإِنَّ كَوْنَهَا رَمِيمًا يَمْنَعُ عِنْدَهُ إِحْيَاءَهَا لِمَصِيرِهَا إِلَى حَالِ الْيُبْسِ وَالْبُرُودَةِ الْمُنَافِيَةِ لِلْحَيَاةِ

الَّتِي مَبْنَاهَا عَلَى الْحَرَارَةِ وَالرُّطُوبَةِ، وَلِتَفَرُّقِ أَجْزَائِهَا وَاخْتِلَاطِهَا بِغَيْرِهَا وَلِنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الشُّبُهَاتِ.
فنقول فأما الشبهة الأولى فهي التي بينها القرآن في قوله:" الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا" فَبَيَّنَ أَنَّهُ أَخْرَجَ النَّارَ الْحَارَّةَ الْيَابِسَةَ مِنْ الْبَارِدِ الرَّطْبِ، وَذَلِكَ أَبْلَغُ فِي الْمُنَافَاةِ؛ لِأَنَّ اجْتِمَاعَ الْحَرَارَةِ وَالرُّطُوبَةِ أَيْسَرُ مِنْ اجْتِمَاعِ الْحَرَارَةِ وَالْيُبُوسَةِ، فَالرُّطُوبَةُ تَقْبَلُ مِنْ الِانْفِعَالِ مَا لَا تَقْبَلُهُ الْيُبُوسَةُ. ولهذا كان تسخين الهواء والماء أيسر من تسخين التراب، أما تفرق الأجزاء فالرب سبحانه هو العليم القدير الذي لا يعجزه مثل هذا وقد يعلم الرب سبحانه ما نقصت ا لأرض من أجساد بني آدم فيرده إليهم كما أشار القرآن لذلك قائلا ً:" قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ" قال ابْنِ عَبَّاسٍ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ قَ الَ: من أجسادهم وما يذهب منها وقال في رواية أخرى : مَا تَأْكُلُ مِنْ لُحُومِهِمْ وَأَبْشَارِهِمْ، وَعِظَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ فَجَمْعَ أَجْزَاءِ الْأَجْسَامِ مُمْكِنٌ لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَ عَالِمًا بِتِلْكَ الْأَجْزَاءِ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى عُمُومِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ وَكَانَ قَدْ أَرَادَ إحْيَاءَ أَصْحَابِهَا كَمَا أَخْبَرَ بِهِ، فَلَا يَعْظُمُ عَلَى قُدْرَتِهِ جَمْعُهَا وَتَرْكِيبُهَا أَجْسَامًا كَأَجْسَامِ أَصْحَابِهَا حِينَ فَارَقُوا الْحَيَاةَ.
ثم قد يقال فماذا لو أكل إنسان إنساناً بحيث صار جزءاً منه فتلك الأجزاء إما ان تعاد فيهما و هو محال أو في احدهما فلا يكون الآخر معاداً بكل أجزائه
فنقول ما نعتقده هو أن "الْإِنْسَانُ الَّذِي أَكَلَهُ إنْسَانٌ أَوْ حَيَوَانٌ وَأَكَلَ ذَلِكَ الْحَيَوَانُ إنْسَانًا آخَرَ فَفِي هَذَا كُلِّهِ قَدْ عُدِمَ هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا الْإِنْسَانُ وَصَارَ كُلٌّ مِنْهُمَا تُرَابًا " كَمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ ثُمَّ يُعَادَ هَذَا وَيُعَادَ هَذَا مِنْ التُّرَابِ وَإِنَّمَا يَبْقَى عَجْبُ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ. وَأَمَّا سَائِرُهُ فَعَدَمٌ " فَيُعَادُ مِنْ الْمَادَّةِ الَّتِي اسْتَحَالَ إلَيْهَا فَإِذَا اسْتَحَالَ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ أَلْفُ مَيِّتٍ وَصَارُوا كُلُّهُمْ تُرَابًا فَإِنَّهُمْ يُعَادُونَ

وَيَقُومُونَ مِنْ ذَلِكَ القَبْرِ وَيُنْشِئُهُمْ اللّهُ تعَالَى بَعْدَ أَنْ كَانُوا عَدَمًا مَحْضًا كمَا أَنْشَأَهُمْ أَوّلًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا عَدَمًا مَحْضًا وَإِذَا صَارَ أَلْفُ إِنْسَانٍ تُرَابًا فِي قَبْرٍ أَنْشَأَ هَؤُلَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْقَبْرِ ولا استحالة في ذلك بل هو أيسر من الخلق الأول إذ خَلَقه من تراب من غير مثال سابق وهو المعنى في قوله :" كمَا بَدَأْنَا أَوّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنّا كُنّا فَاعِلِينَ"، أي: قدرتنا على إِعَادَة الْخلق كقدرتنا على إنشائه.
وسبب فتور العقول و النفوس عن قوة اليقين و التصديق بـ البعث و النشور هو قلة التدبر في هذا العالم لأمثال تلك الصور فلو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات ثم قيل إن صانعاً يصنع من تلك النطفة القذرة مثل هذا الآدمي العاقل المتكلم السميع البصير لاشتد نفوره عن تصديق مثل ذلك و إلى هذا أشار القرآن الحكيم قال الرب تعالى:" يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلّقَةٍ لِنُبَيّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمّ لِتَبْلُغُوا أَشُدّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً"فليس إخراج الإنسان و بعثه من التراب الذي تحلل إليه بأصعب من خلقه ابتداءً على غير مثال سابق من نطفة.
و إن كان البعث لا استحالة فيه كان من الممكنات التي يُجوِّز العقل حدوثها أو عدم حدوثها فيتوقف فيها حتى يأتي دليل عقلي آخر أو دليل خبري مقبول .
ثانيا:في وجوب الحساب و المجازاة:
علمنا أن من صفات الرب كونه العادل الحكيم العليم الخبير ، ثم إن مقتضى الحكمة و العدل عدم التفرقة بين المتماثلين و عدم التسوية بين المختلفين ومن فعل خلاف ذلك فهو مطعون في حكمته و عدله و قد أشار القرآن لهذا المعنى إذ قال الرب سبحانه :" أم نجْعَل الّذين آمنُوا وَعمِلُوا الصّالِحَات كالمفسدين فِي الأَرْض أم نجْعَل الْمُتّقِينَ ك

الفجار"قال ابن كثير: أيْ: لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ دَارٍ أُخْرَى يُثَابُ فِيهَا هَذَا الْمُطِيعُ وَيُعَاقَبُ فِيهَا هَذَا الْفَاجِرُ. وَهَذَا الْإِرْشَادُ يَدُلُّ الْعُقُولَ السَّلِيمَةَ وَالْفِطَرَ الْمُسْتَقِيمَةَ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَعَادٍ وَجَزَاءٍ فَإِنَّا نَرَى الظَّالِمَ الْبَاغِيَ يَزْدَادُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ وَنَعِيمُهُ وَيَمُوتُ كَذَلِكَ وَنَرَى الْمُطِيعَ الْمَظْلُومَ يَمُوتُ بِكَمَدِهِ فَلَا بُدَّ فِي حِكْمَةِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الْعَادِلِ الَّذِي لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِنْصَافِ هَذَا مِنْ هَذَا. وَإِذَا لَمْ يَقَعْ هَذَا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَتَعَيَّنَ أَنَّ هُنَاكَ دَارًا أُخْرَى لِهَذَا الْجَزَاءِ وَالْمُوَاسَاةِ.

ولأن مقتضى الحكمة والعدل أن الرب الحكيم الرحيم الغني بذاته عن العالمين يمن على من يصلح لأن يكون محلا للإ حسان و الرحمة بمزيد من الإنعام و الإكرام، ويعاقب من استعان بنعم الرب على معصيته وظلم خلقه ولم يعرف له فضله وينتصر لمن أحبه و أرضاه ممن عاداهم و عاداه مستعيناً على ذلك بنعمه و مستغلا ً حلمه و الرب الحكيم العادل لا يخرج عن مقتضى الحكمة و العدل و إذ لم يقع هذا الحساب و المجازاة في هذه الدنيا دل ذلك باللزوم على البعث للحساب و المجازاة .

مبحث في الدين و الحاجة إلى الشرائع:

1-الشرائع ضرورة اجتماعية:

يقول علماء الإجتماع بأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه لذا فهو يميل للعيش في جماعات إذ لا غني لبعضهم عن بعض وأحدهم لا يستقل بجلب منفعته ودفع مضرته فلا بد من اجتماعهم وإذا اجتمعوا فلا بد أن يشتركوا في اجتلاب ما ينفعهم كلهم مثل طلب نزول المطر وغيره و الدفاع عن مواطنهم وذلك لمحبتهم له وفي دفع ما يضرهم مثل عدوهم وذلك لبغضهم له فصار ولا بد أن يشتركوا في محبة شيء عام وبغض شيء عام ثم إن كل منهم يختص بمحبة ما يأكله ويشربه وينكحه وطلب ما يستره باللباس فهذا يشتركون في نوعه لا في شخصه بل كل منهم يحب نظير ما يحبه الآخر لا عينه بل كل منهم لا ينتفع في أكله وشربه ونكاحه ولباسه بعين ما ينتفع به الآخر بل بنظيره وإذا كان كذلك فالأمور التي يحتاجون إليها يحتاجون أن يوجبوها على أنفسهم والأمور التي تضرهم يحتاجون أن يحرموها على نفوسهم وذلك دينهم وشريعتهم وذلك لا يكون إلا بتوافقهم على ذلك وهو التعاهد والتعاقد فهذا هو من الدين المشترك بين جميع بني آدم من التزام واجبات ومحرمات وهذا قد يكون باطلا فاسدا إذا كان فيه مضرة لهم راجحة على منفعته وقد يكون دين حق إذا كانت منفعة خالصة أو راجحة وأصل هذا الإلتزام هو الحب و البغض ثم إنه لا بد في كل دين وطاعة ومحبة من شيئين أحدهما المألوه المحبوب المطاع وهو المقصود بذاته إذ المحبوبات إما محبوبة لذاتها او لغيرها أي لما يترتب عليها من المحبوبات لذاتها فرجع الأمر إلى المحبوب لذاته المراد والثاني نفس صورة العمل التي يطاع بها وهو السبيل والطريق والشريعة والمنهاج والوسيلة ثم إن التدافع لابد و ان يحصل عند

تزاحم الحاجات فأصل العداوات التزاحم على الأغراض المعينة، فيحتاجون إلى النظام الذي ينظم هذا التزاحم ، ولما كان لكل شخص دوافعه الشخصية التي هي أقوى تأثيراً عليه من مصلحة المجموع لذا وجب أن يحتوى النظام على روادع وزواجر قوية تمنع النفس من الخروج على النظام قد يكون بعضها مادياً وقد يكون بعضها معنوياً فإنه لا يجوز إخلاء الجرائم التي تدعو إليها الطباع من عقوبة زاجرة .

2-الدين لا يكون إلا شريعة و عقيدة:

قلنا في المبحث السابق بأن أصل هذا الإلتزام هو الحب و البغض ثم إنه لا بد في كل دين وطاعة ومحبة من شيئين- أحدهما المألوه المقصود المحبوب المطاع وهو المقصود بذاته إذ المقصودات إما تراد لذاتها او لغيرها أي لما يترتب عليها من المقصودات لذاتها فرجع الأمر إلى المقصود لذاته المراد والثاني نفس صورة العمل التي يطاع بها وهو السبيل والطريق والشريعة والمنهاج والوسيلة.

فالأول هو أصل العقيدة و هو تحديد المقصود لذاته الذي يوالى عليه و يعادى عليه ويكون مصدراً للتعاهد و التعاقد فتارة ما يكون هو الوطن و الأرض و تارة ما يكون القبيلة و النسب و تارة يكون مبدأ معين أو فكرة معينة ك الشيوعية مثلا ً و تارة ما يكون المحبوب بذاته هو إله القوم الذي يعبدونه و يتدينون بدينه و أحياناً قد يجتمع بعضها كأن يكون المقصود بذاته لعامة أهل قطر معين هو الوطن و بداخل الوطن تكون القبائل كل منها يتعاهد على حب القبيلة و يوالي عليها و يعادي عليها فيكون دين أهلها هو الأقوى في نفوسهم الذي يقدم عند التعارض لأنه يكون هو المقصود بذاته و يكون الاخر ليس كذلك بدليل أنه لما تعارض مع الاخر لم يُقصد و لم يُراد و يعبر عن هذا المعنى بمعنى العبادة فالمعبود المألوه هو الذي

يكون مقصود عابديه و الذي يقدم فوق كل مقصود آخر و يتوجه إليه بنوع من المحبة مختلف عن المحبة الفطرية أو الغرائزية و التي تكونا نتيجة ملائمة الطبع بل هي محبة توجب محبة المشاركين في هذه العباده و منافرة المعادين لها و صورة ذلك هي صورة أصحاب الأديان مع آلهتهم و شرائعهم و صورة أصحاب الراية الوطنية مع أبناء وطنهم و أعدائه و صورة أصحاب الإتجاهات كالديموقراطية و الشيوعية و غيرها مع المناصرين لأفكارهم و المعادين لها ف المألوه يُحَب كل ما يُوصِّل إليه أو يساعد على ذلك و يبغض كل ما يبعد عنه،و لهذا كان تعبير مصطفى صادق الرافعي :

ومعي قلبي وعزمي للجهاد ... ولقلبي أنت بعد الدين دين

فهو تعبير معبر إذ جعل المقصود الأعظم الذي هو مقصود بذاته هو الله و الدين الإسلامي ثم جعل محبة الوطن و التعاهد عليها هي التالية لها في المنزلة مباشرة.

و الثاني هو الشريعة التي تنظم علاقات المجتمعين مع بعضهم البعض و مع غيرهم و مع المقصود بذاته سواء كان رباً أو وطناً أو مبدأ و فكرة و هي التي تحدد الحقوق و الواجبات والمثوبات و العقوبات و آلية تنفيذ تلك العقوبات ، والشريعة لا يمكن أن تنفك عن العقيدة أبداً بل العقيدة لا بد و أن تمثل الأساس الذي تقوم عليه الشريعة المنظمة لتلك الجماعة فلا يتصور أبداً في مجتمع وطني يجعل الوطنية دينه ثم يسمح بالتجسس على الوطن أو حتى يضع له عقوبة صغيرة و لا يتصور في مجتمع يدين ب الشيوعية أن تهتم الشريعة الخاصة بهم بتوفير ضمانات لأ صحاب رؤوس الأموال الضخمة.

ثم إن هذا المعنى و هو التعاهد و التعاقد الذي ينبني على مقصود لذاته و يمثل العقيدة و التشريع الذي ينظم أمور هذا التجمع هو لازم لكل تجمع مهما كان صغيراً و أهدافه بسيطة ففريق الكرة مثلا ً يجب أن يلعب المبارة لتحقيق

هدف يتشارك اللاعبون و الجهاز الفني في العمل على تحقيقه و لا يترك لكل لاعب الحرية في فعل ما يشاء أثناء المباراة بل ينبغي أن تكون هناك خطة لعب لتحقيق هذا الهدف و لا يسمح بمخالفتها بل و يعاقب اللاعب الذي يخالف في التنفيذ ثم لابد أن تكون خطة المباراة موضوعة وفقاً للهدف المطلوب تحقيقه في هذه المباراة.
وفي المجتمعات الكبيرة كالدول والإمبراطوريات لا يتصور فيها أن يكون هذا الدين الذي تدين به الجماعة هو دين توافقي و إنما يكون إما ما يدين به الأغلبية أو أصحاب القوة القادرين على تنفيذ ما يريدون بقوتهم و قهرهم .

3-أنواع الأديان وصلاحيتها:

و الاديان و الشرائع من حيث المصدر إما أن تكون ربانية أو وضعية وضعها البشر والأديان و الشرائع تتبع في الكمال و النقص واضعيها فكمال التشريع يرتبط بكمال واضعه و الناقص لا يضع تشريعاً كاملا ً ابداً و التشريعات الوضعية يدخلها الخلل من ثلاث جهات:
أ-الجهل:فيدخل الخلل من عدم الإدراك لوجوه المصالح و المفاسد و رتبها أو للجهل بما يترتب على تلك التشريعات من المنافع و المضار أو الجهل ببعضها فيظن التشريع صالحاً و ما ذلك إلا لجهله بما فيه من مفاسد و مضار و عدم صلاحيته للتطبيق و العكس بالعكس.
ب-اتباع الأهواء:إن الإنسان المتبع لهواه يُقْدِم على ما يوافق هواه و طبعه ولو كان مضراً به أو بجماعته و يزينه و يستدل عليه و يُصوره في صورة الحق ترويجاً له على الخلق بل و على نفسه أحياناً فيعتقد ما يوافقه و يعتقد قبل أن يستدل فيجعل الراجح مرجوحاً و المرجوح راجحاً وما ذاك إلا لمنفعة نفسه المادية أو المعنوية أو لتحقيق ما يحبه و يهواه فَكل محب لَهُ ذوق وَوجد بِحَسب محبته وهواه.

ج-البغي:فالإنسان كائن يسعى لمصلحة نفسه ولو كان فيها مضار من حوله ويسعى جاهداً لتحقيق ما ينفعه و يحرص على ذلك ما لم يكن له رادع أو مطمع يدفعه لغير ذلك .
وإذا اجتمع الجهل والهوى والبغي، فقد استحكمت أسباب الهلاك والردى، وأحاطت بصاحبهما موجبات الضلال و الشقى.

أما الشرائع الربانية التي يثبت كونها ربانية فتتميز عن الشرائع الوضعية في أمور منها:
1-وضعها الخالق العليم الخبير الذي يعلم جميع وجوه المصالح و المفاسد ويعلم ما يحتمله البشر و ما هو ممكن التطبيق أماحكمة الحكماء وعلومهم فما هي إلا آراء بشرية ناقصة، وظنون لا تبلغ مبلغ شريعة العليم الخبير.وضعها الحكيم العادل المنزه عن الظلم والجور فكانت شريعة عادلة منزهة عن الظلم و الميل و الجور و الهوى و النقص وضعها الرحيم فكانت رحمة للخلق .
2-الشريعة الربانية لأحكامها من الهيبة و الإحترام في القلوب ما ليس للشرائع الوضعية وكثيرا ما يكون الإنقياد لها طوعاً لأن واضعها هو الرب المتفضل علينا بالإنعام العليم الحكيم القدير الرحيم أما الشرائع البشرية فقد ينظر لواضعها نظر التساوى و المكافأة و الإتهام و التجهيل بل إن واضعيها أنفسهم لا يلبثون أن يخالفوها إذا تعارضت مع مصالحهم و ربما بدلوها بالكلية .
3-الشريعة الربانية لما كان واضعها هو رب الخلق أجمعين كان غرضها إصلاح عالمي كوني تحت راية الدين الحق الذي هو دين رب الكون الغني بذاته الخالق لما سواه، و ليس غرضها تمييز جنس عن جنس أو تحكم دولة في أخرى بخلاف غيرها من الشرائع تعمل على إصلاح أمتهم وتمييزها وقهر ما سواها من الأمم مع أن المنتسب لغيرها من الأمم لا يمكنه إلا أن يكون كذلك فلا يمكنه تغيير جنسه

أو لونه أو بلد النشاة.
4-الشريعة الربانية تهدف لتحقيق مصالح الخلائق في الدنيا و الآخرة بخلاف الشرائع الوضعية التي لا تهتم إلا بتحقيق المصالح الدنيوية وحدها لفئة أو فئات محدودة .
5-الشريعة الربانية عقوباتها أخروية و دنيوية و الرب سبحانه هو العليم بكل شيء من أفعال عباده فلا تسقط الجريمة و لا تفلت بغير عقوبة مما يُضعِف ويُقلِل من إحتما لات الإقدام على الجريمة عند المؤمنين بالرب المتبعين شرائعه.
6-الشريعة الربانية نظراً للبعد الآخروي أمكن أن تتصف بإمكان الإستحباب والإثابة عليه فيمكنها أن تترفع عن كونها نظام قانوني إلى نظام قانوني و أخلاقي في الوقت ذاته فيمكنها ان تدعو للإحسان الزائد على مقتضى العدل الواجب تحت مسمى المستحب و الترغيب فيه و الإثابة عليه.
أما من حيث العقيدة والتي هي الأصل للشريعة و هي الدافع القوي للإذعان للشريعة و الخضوع لها فلا شك أن العقائد منها ما يدرك بالعقل و منها ما لا يدرك العقل إلا إمكانه و جوازه دون وجوده من عدمه فلا يمكن إثباته إلا بـ الخبر الصادق و ليس للإنسان دور في هذه القضايا سوى العمل على فهمها فعلم بأن الدين الإلهي هو أكمل عقيدة وشريعة من الأديان الوضعية و أصلح للبشر منها.
4-وجوب الدين الرباني و عدم جواز الخروج عنه:
أثبتنا من قبل وجوب شكر المنعم و قلنا بأن شكر المنعم يكون باللسان شكراً له و حمداً له و ثناءً على فعله و بالقلب تعظيماً له وإقراراً بحقه و تواضعاً له و محبةً له و بالجوارح فعلاً لمحبوباته و تودداً له و تركاً لمبغوضاته فمن أعرض عن شكر المنعم على إنعامه مع قدرته عليه بل و جعل النعم في فعل مبغوضاته لم يكن أهلاً للرحمة والإحسان وكان الإحسان إلى مثل هذا مُخلاً بالحكمة بل كان مقتضى

العدل و الحكمة أن يكون أهلا ً للعقاب الشديد أما من اعترف بالفضل و الإحسان وعرف للمنعم حقه و عمل على شكره وانقاد لإرادته و لكن قصر تقصيراً مخلا ً في أداء الشكر و فعل بعض ما يبغضه الرب مع مقدرته على أداء ما هو أفضل و لكن غلبته الغفلات و الشهوات وحظوظ النفس و هو مع ذلك معترف بتقصيره في شكر المنعم كان مثل هذا مستحقاً للعقاب ولكن لا تمنع الحكمة العفو عن مثل هذا و الإحسان إليه لأنه في الجملة يصلح محلا ً للإحسان أما من أحسن الشكر و بذل ما يستطيع شكراً للمنعم على إنعامه فهذا هو الذي توجب الحكمة له المزيد من الإنعام و الفضل من الرحيم المنان لأنه أهل لهذا الفضل و الإحسان.

كما أثبتنا أن الرب هو المالك لكل ما سواه فهو المستحق للملك بحكم الخلق و الخالق أحق بالملك و هو المتنفذة أحكامه في مخلوقاته بغير مانع و لا دافع و علامة الملك التام هو الإستحقاق و نفوذ التصرف وكان سبحانه لا يتصرف إلا بمقتضى العلم و الحكمة لأنهما صفته وكان الإنسان نفسه عبداً مخلوقاً مملوكاً للرب واقع تحت قدرته و تصرفه فليس له حق التصرف في شيء من المخلوقات و لا حتى نفسه إلا بموجب الإذن وفي إطار ما يُوضع له من ضوابط وقيود من الرب سبحانه المالك المتصرف جل و علا ، وهذه الضوابط والقيود إنما يضعها عن علم و حكمة لتحقق مصالح الخلق أجمع في الدنيا و الاخرة فمن خالف فقد أساء.

وتكلمنا عن أن كل دين لابد و أن يقوم على مقصود بذاته مألوه يُحب كل ما يوصل إليه أو يساعد على ذلك و يُبغض كل ما يُبعد عنه ، و يُخضع لطريقته و شريعته و ليس أحق بذلك من الخالق المنان المنعم الرحيم ،فإن الذي هو المقصود بذاته يجب أن يكون أكمل في الوجود من الذي ليس يراد منه إلا أن يكون وسيلة إلى غيره ومَن جعل غيره

بهذه المنزلة فقد أساء إذ كافيء إنعام المنعم بإنزاله دون منزلته فلم يكن اهلا ً للإحسان و الرحمة بل كان مستحقاً للعقاب الشديد و هذا هو مقتضى العدل و الحكمة فالحكمة تمنع من وضع الإحسان و الرحمة في غير موضعهما .

مبحث في الوحي و الرسالات

1- الحاجة إلى الوحي والرسالات

إذا علمنا بوجوب شكر المنعم ووجوب اتباع الدين الرباني علمنا ضرورة بأن الرب العادل الحكيم لا يعاقبنا على ما لم نعلم ،فكيف للعقل أن يدرك محاب الرب و مباغضه و العقول لا يمكنها إدراك ذلك على التفصيل ، فضلا ً عن تفاوتها وقد تدرك العقول القوية السليمة عن إتباع الهوى بعض ذلك ولكن كيف لها أن تعرف ذلك على التفصيل ثم إن العقل هو آلة تعمل من خلال المعطيات و المقدمات التي تعطى لها ولكي يحكم على عمل بأنه صالح أو فاسد فلابد أن يدرك جميع ما يترتب عليه من مصالح و مفاسد ولو استطاع ذلك في بعض الأعمال فكيف بسائر أعمال سائر البشر فإن المعطيات الناقصة مهما كان حدة ذكاء الناظر لا تؤدي به إلى الحق و ليتمثل ذلك بشخص يريد حل مسألة رياضية معقدة ولا يعلم القوانين المستخدمة أو حتى يعلمها بطريقة خاطئة كيف له أن يصل إلى الحل الصحيح ثم لو افترضنا وصوله لهذا الحل في مسألة او مسألتان هل يمكنه حل آلاف المسائل و هو على هذه الحالة فعلمنا ضرورة أن يبين لنا الرب العادل الحكيم المنان الرحيم محابه و مباغضه و ما يصلح منا لشكره وما لا يصلح فعلمنا بوجوب الوحي وأنه منه نعمة وهي مقتضى حكمته و رحمته و عدله سبحانه و كان مقتضى الحكمة أن يكون الوحي إلى إنسان بشري إذ أن مقتضى الرسالة التكليف فكان إرسال رسولا ً بشرياً يبلغ الرسالة و يكون أنموذجاً لتطبيقها هو غاية الرحمة و الحكمة في إيصال الرسالة و بيان كيفية تطبيقها في كل حال من الأحوال في مأكله و مشربه و مسكنه و في أهله و معاملاته و جهاده و فيما يصيبه من الابتلاءات ولهذا أشار القرآن في قول الرب :"

قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا" – ومقتضى بشرية الرسل أنهم خلقوا أجساداً كسائر الأجساد يحتاجون إلى الطعام و الشراب والإحتماء من البرد والحر ويتعرضون للآلام و ا لأوجاع و الموت كما أشار سبحانه قائلا ً :" وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ" و إلا لضعفت مصلحة بشرية إرسالهم، ومن مقتضى بشريتهم أن الرسل ليسوا بآلهة و لا أرباب بل هم عباد مخلوقون مربوبون ليس لهم تصرف ذاتي في الكون ولا يستحقون صرف شيء من العبادة يقول تعالى:" مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ"بل لهم الإحترام و التوقير و المحبة لكونهم رسل الرب الذين اصطفاهم لتعليمنا ما نحتاجه من أمور الدين و لأنهم الوسيلة في إيصال هذه النعمة العظيمة إلينا و لهم الطاعة لأنهم مبلغون عن رب العالمين فكان بلاغهم هو أمر الرب العظيم.

2-صفات واجبة للرسل:

إذا كان وظيفة الرسول الأساسية هي البلاغ لرسالة الرب كان أول الصفات التي يقضي مقتضى الحكمة بعصمته منها هي الكذب فالكذب يحول دون إبلاغ الرسالة و دون تصديق المرسل إليهم بها فلا يمكن ان يبعث الرب برسول كذاب فكان أول الصفات الواجبة للرسول هي الصدق- ثم إن الرسالة أمانة فلا يختار العليم الحكيم لحمل رسالته إلا أميناً ليس بخائن إذ يمتنع في مقتضى العقل أن يختار العليم الحكيم خائناً لإبلاغ رسالته فإن اختيار خائن لهذا الدور لا يكون إلا عن جهل بخيانته أو سفاهة في الرأي و الرب منزه عن كليهما سبحانه و تعالى – إن الرسول المبعوث من قبل رب العالمين لإبلاغ رسالته يجب ان يكون ذو قبول في المرسل إليهم فلا يمكن أن يرسل الحكيم

العليم رسولا ً يفعل الخسيس من الأفعال التي تسقط المروءات كالسرقة ولو قليلة و كالغدر و كالفواحش أو غير ذلك مما يسقط مروئته و يحول دون انقيادهم له و تعظيمهم له - ومن مقتضى الرسالة القدرة على إبلاغها و الحكيم الذي يختار الأفضل في كل أمر و يضع الشيء في محله لا يتصور أن يبعث رسولا ً إلا فطناً قادراً على إظهار الحجة على المرسل إليهم.

و صحة الرسالة وبلوغها للمرسل إليهم تقتضي من الرب أن يكون رسله مَعْصُومُونَ مِنْ كِتْمَانِ الرِّسَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ فِي التَّبْلِيغِ و إلا لم تتحقق فائدة الإرسال.

3-حول معرفة الرسل:

فإذا علمنا أن الرسالة حق و أنها مقتضى حكمة الرب و عدله و رحمته ظهرت الحاجة إلى التفريق بين الرسول الصادق وبين المتنبيء الكاذب المدعي النبوة ، و الرسول الحق لا بد أن يبين البراهين الدالة على أنّ ما يقوله حقّ؛ من الخبر، والأمر؛ فلا بُدّ أن يكون قد بيّن الدلائل التي توجب تصديقه في كلّ ما أخبر، طاعته في كلّ ما أوجب وأمر،ومن أعظم أصول الضلال: الإعراض عن بيان الرسول للأدلة والآيات و البراهين والحجج، ونحن نعلم بالإضطرار أن الرب القادر الحكيم العليم لا يبعث أنبياء صادقين يبلغون رسالته ويأمر الناس باتباعهم ويتوعّد من كذّبهم، فيقوم آخرون كذّابون يدّعون مثل ذلك، وهو يسوي بين هؤلاء وهؤلاء في جميع ما يفرق به بين الصادق والكاذب لإن هذا ينافي الحكمة و العدل و القدرة،ثمّ إنّ الله جعل الأشياء متلازمة، وكلّ ملزوم هو دليل على لازمه؛ فالصدق له لوازم كثيرة؛ فإنّ من كان يصدق، ويتحرى الصدق، كان من لوازمه أنّه لا يتعمّد الكذب، ولا يخبر بخبرين متناقضين عمداً، ولا يُبطن خلاف ما يظهر، ولا يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، ولا يخون أمانته، ولا يجحد حقاً هو عليه، إلى أمثال هذه الأمور التي يمتنع أن تكون لازمةً إلا لصادق؛ فإذا انتفت انتفى الصدق،

وإذا وجدت كانت مستلزمة لصدقه. والكاذب بالعكس؛ لوازمه بخلاف ذلك .
ثم إن من الفروق بين جنس الرسل و غيرهم من المتنبئين او الكهان أو غير ذلك:
أ- أنّ النبيّ صادقٌ فيما يخبر به لا يكذب قط. ومن خالفهم من المتنبئين أو السحرة أو الكهّان، لا بُدّ أن يكذب؛ كما أشار القرآن في قوله عز و جل: "هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِين * تَنَزَّلُ عَلَى كُلّ أَفَّاكٍ أَثِيم" فأشار إلى أن المتنبيء الكاذب لابد أن تكون سيرته مليئة بالإفك و الكذب بخلاف الرسول الحق .
ب-من جهة العقيدة التي يدعون إليها أن تكون عقيدة ربانية صحيحة توافق ما أصلناه مما هو واجب بالعقل من وحدانية الرب و صفات كماله و استغنائه عن خلقه و كمال علمه و قدرته و ألا يأتي بما يوجب العقل نقيضه.
ج-من جهة ما يأمر به هذا ويفعله، ومن جهة ما يأمر به هذا ويفعله؛ فإنّ الأنبياء لا يأمرون إلا بالعدل والإحسان وطلب ا لآخرة، وعبادة الله وحده، وأعمالهم البر والتقوى.
ومخالفوهم يأمرون بالشرك، والظلم، ويعظّمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان.
د-يمكن أن يؤيده بآية خارقة للعادة يُعجز بها الرب المرسل إليهم ليتأكدوا من أنه من عنده سبحانه و تعالى فيظهر لهم ما يخرق به العادات و يعجز به المرسل إليهم تمييزاً لهم عن غيرهم،فإن قيل قد يفعل الكهان و السحرة مثل ذلك و أنتم تثبتون السحر فيُشكل أمر الرسول الحق؟ قلنا لا، لا يشكل ما يفعله الكهان و السحرة عند من يثبت السحر -و هو الصحيح - لأنه مما يناله الإنسان بتعلمه، وسعيه، واكتسابه. وهذا مجرّبٌ عند الناس. بخلاف النبوة؛ فإنّه لا ينالها أحدٌ باكتسابه ،ثم إن ما يأتيه الكهّان، والسحرة، لا يخرج عن كونه مقدوراً للجنّ والإنس، وهم مأمورون بطاعة

الرسل، وآيات الرسل لا يقدر عليها؛ لا جنّ، ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كلّ من أُرسل النبيّ إليه ثم إنّ هذه يمكن أن تُعارض بمثلها. وآيات الأنبياء لا يمكن لأحد أن يعارضها بمثلها فالساحر أو الكاهن لا يمكنه ان يحيي الموتى بإذن اللّه ولا أن يشق القمر حقيقة و لا أن يشق البحر حقيقة بعصاه و لا يمكنه أن يحوّل العصا لحية حقيقية ولا يمكنه أن يخبر عن أمور غيبية فيصدق في كل ما يخبر به وأما إخبار الكهان ببعض الأمور الغائبة؛ لإخبار الشياطين لهم بذلك، وسحر السحرة؛ بحيث يموت الإنسان من السحر، أو يمرض، ويُمنع من النكاح، ونحو ذلك مما هو بإعانة الشياطين: فهذا أمرٌ موجودٌ في العالم، كثيرٌ، معتادٌ، يعرفه الناس، ليس هذا من خرق العادة، بل هو من العجائب الغريبة التي يختص بها بعض الناس؛ كما يختصّ قوم بخفة اليد، والشعبذة؛ وقومٌ بالسباحة الغريبة، حتى يضطجع أحدهم على الماء؛ وكما يختص قومٌ بالقيافة، حتى يُباينوا بها غيرهم.

فالخلاصة أن الشرط عندنا في آيات الأنبياء أن لا يكون لها نظير لغير الأنبياء، ومَنْ يُصدقهم.

ثم َ إن النبي الحق لا يأمر إلا بمصالح العباد في المعاش و المعاد؛ فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ فيأمر بالتوحيد، والإخلاص، والصدق؛ وينهى عن الشرك، والكذب، والظلم. ف العقول، والفطر توافقه؛ كما توافقه الأنبياء قبله؛ فيصدقه صريح المعقول وصحيح المنقول الخارج عمّا جاء به.

فإن قلتم يعارض هذا بكرامات الأولياء و الصالحين و انتم تثيتونها و هم صالحون لا يكذبون فيلتبس أمرهم بالأنبياء؟ قلنا بلى فكرامات الأولياء لا تخرج عن أن تكون معجزة للنبي الذي يتبعه الولي الصالح فإن الولي ما هو إلا رجل أحسن اتباع نبيه و أقام شرع ربه ،و إظهار الكرامات على يديه تصديقاً له في دعواه نبوة نبيه فكانت آية لنبوة النبي كما كانت المعجزة التي ظهرت على يد النبي فإن آيات الأ

أنبياء عندنا هي عَلَم على صدقهم فلا يلزم أن تقيد بمكان أو زمان بل العلة هي بيان صدقهم و أن الرب يشهد لهم بـ الرسالة فقد تكون بعضها قبل بعثتهم أو أثنائها او بعدها فـ الخوارق التي لا يقدر عليها العباد كلها آيات لله تعالى، وهي دالة على ما يظهر دلالتها عليه.

ه-ثم إنه يمتنع في حكمة الرب وعدله أن يُسوّي بين هؤلاء خيار الخلق، وبين هؤلاء شرار الخلق؛ لا في سلطان العلم وبراهينه وأدلته، ولا في سلطان النصر والتأييد، بل يجب في حكمته أن يظهر الآيات والبراهين الدالة على صدق هؤ لاء، وينصرهم، ويُؤيّدهم، ويُعزّهم، ويُبقي لهم لسان الصدق، ويفعل ذلك بمن اتبعهم، وأن يظهر الآيات المبينة لكذب أولئك، ويذلهم، ويخزيهم، ويفعل ذلك بمن اتبعهم؛ كما قد وقع في هؤلاء وهؤلاء.

و-قيام الرسول الحق بوظائفه وهي الدعوة إلى الرب الحق و إلى إصلاح العقائد والأعمال والأخلاق وتقويم الإنحرافات العقدية و السلوكية والفكرية و البلاغ المبين عن رب العزة سبحانه.

مبحث في رسالة محمد صلى اللّٰه عليه و سلم:

اولا ً:مسالك إثبات الرسالة

= المسلك الاول :المسلك الشخصي:

فالمتتبع لخصال الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم من الصدق و الامانة و الوفاء بالعهود و الشجاعة فلم يفر يوما من عدو ، والجود فكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ،و حلمه ووقاره عن طيش يهزّه أو خرق يستفزّه فقد كان أحلم من كلّ حليم وقد مُني بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة ولم يحفظ عليه بادرة، ولا حليم غيره إلّا ذو عثرة ولا وقور سواه إلّا ذو هفوة، فإنّ الله تعالى عصمه من نزع الهوى وطيش القدرة ، و كذلك البذل و التضحية في سبيل دعوته لم يعرف عنه الكذب بل لم يتهمه به صديق ولا عدو و هو ا لأمي الذي اوتي أعظم الكتب يقول الإمام الغزالي: فإذا وقع لك شك في شخص معين: أنه نبي أم لا؟ فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله:إما بالمشاهدة، أو بالتواتر، والتسامع ويكفي أن ننظر إلى شدة محبة أصحابه له حتى كانوا يفادونه بحياتهم و يعظمونه و يعظمون أمره و نهيه تعظيماً اختيارياً لم يعرف لغيره في تاريخ البشرية فكان صلّى الله عليه وسلّم في نفوسهم الأهيب وفي أعينهم الأعظم، وإن لم يتعاظم بأبّهة ولم يتطاول سطوة، بل كان بالتّواضع موصوفا ً وبالوطأة- أي السّهولة- معروفا ً وكان صلوات الله عليه محبوبا ً استحكمت محبّة طلاقته في النّفوس حتّى لم يجافه مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحبّ إلى أصحابه من الآباء والأبناء والأنفس و الزوجات،وإلى شدة إيمانهم بنبوته و يقينهم بأنهم على الحق حتى أن الثلا ثون ألفاً منهم يقاتلون مائتي ألف و هم يوقنون بالنصر حتى أنهم و هم الأمة الأضعف الأذل التي لم تكن تجتريء

على مواجهة الروم و الفرس تهاجمهم في عقر دارهم و يوقنون من قهرهم و يحاربونهم معاً في نفس الوقت مع أن كل دولة منهما تفوق الأمة العربية عدة و عتاداً و خبرة في الحروب عشرات المرات ولم يكن هذا دأبهم قبل رسالته فهل يمكن أن توجد كل هذه المحبة و كل هذا اليقين في قلوبهم ما لم يكن صلى الله عليه وسلم كريم الخصال و الأ خلاق و لم يؤثروا عليه ما يقدح في رسالته!.

ثم انظر في حسن سيرته، وصحّة سياسته في دين نقل به ا لأمّة عن مألوف، وصرفهم به عن معروف إلى غير معروف فغير أخلاقها و عاداتها و عقائدها ، فأذعنت به النّفوس طوعا، وانقادت خوفا وطمعا ً.

بل إن الناظر في سيرة النبي الكريم يوقن أن الرب سبحانه لو لم يرسل إلا رسولا ً واحداً لكان هو الأحق بإثبات الرسالة لذا صنفه بعض الغربيين ممن لم يؤمن برسالته أعظم العظماء وهذا حق فإنه لم يوجد في تاريخ البشرية كلها شخص أعظم أثراً في إصلاح العالم وعقيدته و سلوكياته من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،حتى قال البروفيسور يوشيودي كوزان- مدير مرصد طوكيو :أعظم حدث فى حياتي هو أننى درست حياة رسول الله محمد دراسة وافية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود.

=<u>المسلك الثاني معجزة القرآن:</u>

و هذا المسلك لا يمكن أن نوفيه حقه في البحث ولكن في البداية نقول بأنا قلنا بأن من آيات الرسل ، الآية لخارقة للعادة التي يُعجز بها الرب المرسَل إليهم ليتأكدوا من أنه من عنده سبحانه و قد كان للرسول الكريم حظ وافر من الآ يات أعظمها على الإطلاق هو القرآن الكريم فكان معجزاً من حيث أسلوبه و فصاحته و بلاغته ، و معجزاً من حيث ما احتوى عليه من تشريعات و أنظمة ، و معجزاً لما يحتويه من توجيهات لا تنفذ لصلاح الدنيا و الآخرة ، و معجزاً في إخراجه أمة جاهلة ذليلة متفرقة إلى ان تصير سيدة الأمم

أخلاقاً و علماً و قوةً و عزةً لما تمسكوا به و عملوا به ثم عادوا إلى ضعفهم و ذلتهم و تفرقهم لما تركوا العمل به والإ هتداء به، معجزاً من حيث إنبائه بالغيوب الواقعة ثم إذا أردت أن تتاكد من إعجازه فانظر إلى :
1- تحدي الرب للمعاندين والمخالفين الذين شككوا في القرآن في عدة مواضع بان يأتوا بمثله ثم بعشر سور ثم بسورة واحدة فقال : "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" – وقال :" أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "، و هم آئمة الفصاحة و البلاغة والبيان فإن عجزوا كان غيرهم أعجز و مع توافر الدواعي لبيان كذبه و العداوة و الخصومة القائمة لم يتمكن أحدهم من معارضته ولو بسورة واحدة ثم هو يسفه أديانهم و يسب آلهتهم ويقرعهم بالعجز فيقول لهم "فإن لم تفعلوا و لن تفعلوا" فيخبر محمداً صلى الله عليه وسلم بأنهم لن يفعلوا و يخاطر بدعوته لو نجح أحدهم في ذلك و هم الأكثر منه علماً بفنون الشعر و النثر و الأدب ، ثم إنهم تركوا الاستجابة للتحدي مع أنه أمر لا يكلفهم كثيرا ً من التبعات واختاروا الطريق الوعر لمواجهة الرسول وهو الحرب وإزهاق الأنفس وإهدار الأموال فعلمنا علما ً يقينيا ً بعجزهم عن الإتيان بمثله مع كونهم أساطين الفصاحة والبلاغة وكان هذا دليلا ً قطعياً على علمهم بعجزهم ،وعن ذلك يقول ابن كثير:
ثُمَّ شَرَعَ تَعَالَى فِي تَقْرِيرِ النُّبُوَّةِ بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَقَالَ مُخَاطِبًا لِلْكَافِرِينَ: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نزلنَا عَلَى عَبْدِنَا} يَعْنِي: مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {فَأْتُوا بِسُورَةٍ} مِنْ مِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَعَارِضُوهُ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى ذَلِكَ بِمَنْ شِئْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فإنكم لا تستطيعون ذلك.
ثم انظر إلى البلغاء و الشعراء و الكتاب الذين جاؤوا بعد

كواصل ابن عطاء الخطيب المفوه الذي كان ألثغاً في الراء فكان يخطب الخطب القوية المؤثرة دون أن يذكر فيها حرف راء واحد و الفرزدق و جرير و الأخطل و الجاحظ الذي قيل فيه من فرط بلاغته و فصاحته إن من دليل صدق القرآن إيمان الجاحظ به أي أن مثله إذ رآى أنه معجز للبشر اجمع فلا شك في ذلك والمتنبي والأصمعي و غيرهم كثير من الشعراء و الكتاب ولم يشكك احد منهم في بلاغة القرآن و فصاحته و معلوم أنه يمتنع عقلا ً ان يمتنع كل هؤلاء البلغاء عن مثل هذه المعارضة أو أن يتواطئوا على ا لإيمان و التصديق مع تباعد المكان و الزمان .
ثم على مر التاريخ و مع العداوة الشديدة للاسلام في الغرب و جهود المستشرقين في تأليف الكتب و البحوث و الرسائل الضخمة للتشكيك في القرآن و السنة وكذلك كثير من أفراخهم العرب ،لم يستطع أحدهم أن يعارض القرآن ولو بالإتيان بسورة واحدة بالرغم من أن هذا يهدم الدين من أساسه فمع شدة الحرص على تكذيبه وبيان بطلان دعواه لم يستطع أحدهم أن يعارضه و أن يستجيب للتحدي ولا زال التحدي مستمراً فمن كان في ريب من القرآن فليستعن بمن شاء وليأتي بسورة واحدة من مثله إن كان صادقاً في أن ريبه من جهة إعجاز القرآن و ليحقق إبطال رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.
وكانت المحاولة التي قام بها مسيلمة للإتيان بمثل القرآن فكانت محاولة في غاية الإسفاف : فتذكر كتب التاريخ أن مسيلمة الكذاب زعم أنه أوحي إليه بكلام كالقرآن ثم طلع على الناس بهذا الهذر إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر وبهذا السخف والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا و الخابزات خبزا.
و اترك لك المقارنة و الحكم.
2- إذا أعجبتك قصيدة من عيون الشعر وطربت نفسك عند سماعها فإنها تفقد رونقها وجمالها إذا كررت على سمعك

عدة مرات، مع أن اللسان الذي قالها وكررها واحد، والأذن التي سمعتها واحدة، ذلك لأن كلام البشر يفقد رونقه وجماله بالتكرار، ويلمس قارئ القرآن أثرا من إعجازه حين يقرأ القرآن ويعيد قراءته، فكلما قرأه وجده جديداً مهما تكرر على اللسان أو السمع، وكم كرر المسلمون ويكررون سورة الفاتحة وقصار السور كل يوم، وكلهم يجمعون على أن القرآن الكريم لا يزال جديدا على ألسنتهم، وهذه علامة تخضع للممارسة من كل قارئ للقرآن في أي زمان وفي أي مكان، كما أنها علامة إلهية في كل سورة. ولقد نطق أحد كبار المستشرقين بهذه الحقيقة، وهو المستشرق" ليون" فقال: حسب القرآن جلالة ومجدا أن الأربعة عشر قرنا التي مرت عليه لم تستطع أن تخفف ولو بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غضّا كأن عهده بالوجود أمس ويمكنك تجربتها بنفسك.

3- طريق تأليفه :بيان ذلك أن القرآن لم ينزل جملة واحدة وإنما نزل مفرقاً منجما على أكثر من عشرين عاما على حسب الوقائع والدواعي المتجددة وإذا القرآن كله بعد ذلك يكمُل ويتم وينتظم ويتآخى ويأتلف وينسجم ولا يؤخذ عليه شيء من التفاوت بل كان من ضروب إعجازه ما فيه من انسجام ووحده وترابط حتى إن الناظر فيه دون أن يعلم بتنجيم نزوله لا يخطر على باله أنه نزل مُنجماً وحتى إنك مهما أمعنت النظر وبحثت لا تستطيع أن تجد فرقاً بين السور التي نزلت جملة والسور التي نزلت منجمة من حيث إحكام الربط في كل منهما فسورة البقرة مثلا وقد نزلت بضعة وثمانين نجماً في تسع سنين لا تجد فرقاً بينها وبين سورة الأنعام التي نزلت دفعة واحدة.

4- قوة تأثيره والروعة والهيبة التي تلحق قارئه وسامعه فإذا قرأ القارئ ما شاء من كلام البشر في موضوع ما، ثم قرأ من كتاب الله آيات في نفس الموضوع متدبراً إياها،

فسيشعر بالفارق الكبير في التأثير بين كلام الله وكلام البشر ويمكنك التجربة بنفسك.
5-أن تنظر إلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم الأمي الذي لبث في قومه أربعين سنة لم يُعرَف فيها بشعر و لا نثر و لم يظهر أثر لهذا الإعجاز البياني في حديثه يقول تعالى:" قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" ثم تنظر إلى السنة النبوية و تقارن أسلوبها بأسلوب القرآن الكريم لتدرك المدى البعيد بين أسلوبي القرآن والحديث ولتؤمن عن وجدان بأن أسلوب التنزيل أعلى وأجل من أسلوب الأحاديث النبوية علوا ً خارقا للعادة خارجا ً عن محيط الطاقة البشرية وإن بلغ كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ما بلغ في جودته وروعته ،ولكن من كلام غيره ما يقرب منه ويشبهه في البلاغة و الفصاحة حتى إنه قد يلتبس على البعض بعض الأقوال المأثورة و الحديث النبوي الشريف بخلاف القرآن الكريم مما يدل على أن هذا الكتاب ليس من قول البشر.
6-عدم التناقض: للناس آراء ومقررات في حالات الضعف أو الخوف أو الضيق أو الفقر أو القلة أو نقص المعلومات، وترى تلك الآراء والمقررات تتغير إذا تبدل حال الإنسان إلى العكس مما سبق، وترى هذا في كل عمل بشري، لكن لا تجد أثرا ً لشيء من هذا الاختلاف في كتاب الله. لأنه من كلام الذي لا تغيره الأحوال سبحانه، ولا يشوب علمه النقص، قال تعالى: "أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً" مع أن القرآن كتاب ضمّ طوال السور وقصارها، ونزل في فترات متقطعة، وفي ظروف مختلفة وشمل علوما ً متعددة، وتحدث عن آفاق واسعة، تجده يصدق بعضه بعضا ً ويكمل آخره أوله.

=<u>المسلك الثالث :الإخبار بالمغيبات:</u>

و الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد أخبر بالعديد من المغيبات في القرآن و في السنة الشريفة فمنها على سبيل المثال لا الحصر.
1-قول النبي صلى الله عليه وسلم :"ويح عمار تقتله الفئة الباغية" ثم يُقتَل رضي الله عنه في الفتنة بين علي و معاوية رضي الله عنهما ويتبادل كل منهما اتهام الاخر بأنه قتله فيرى أنصار علي بأنهم على الحق لأن جيش معاوية هو الذي قتل عمار بينما يرى أنصار معاوية ان المسئول عن قتله هو علي رضي الله عنه إذ اخرجه معه في القتال ولم يزعم أحدهم أن الحديث لم يقله النبي صلى الله عليه و سلم ولو كان يمكن الطعن في وروده لكان أسهل على أنصار معاوية من ذلك التاويل البعيد.
2-ما ورد عن عَائِشَةَرضي الله عنها: لَمَّا أَتَتْ عَلَى الْحَوْأَبِ سَمِعَتْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، فَقَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً، إِنَّ رَسُولَ اللَّه   ِ صَلَّى اللَّه   ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا: " أَيَّتُكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ؟ "، فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ: تَرْجِعِينَ عَسَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُصْلِحَ بِكِ بَيْنَ النَّاس. فمن أين للنبي الكريم صلى الله عليه و سلم بمعرفة أن إحدى زوجاته تنبحها كلاب الحوأب.
3-ما ورد من الوعيد لأبي لهب فقال تعالى:" تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ *سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ" ومن أين للنبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يؤمن ويموت على كفره و قد آمن غيره ممن كان يحارب الإسلام كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل و عبد الله بن أبي السرح و عمر بن الخطاب و خالد بن الوليد رضي الله عنهم وغيرهم كثير.
4-حديث حُذَيْفَةَ: "قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّه   ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ

تكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ" وقد تحقق ما أخبر به النبي صلى الله عليه و سلم و نحن الآن في مرحلة الملك لجبري فمن أين له بمعرفة هذا التسلسل ؟!

5-عن عبد الله بن عمرو : بينما نحن حول رسول الله -صلي الله عليه وسلم - نكتب، إذْ سُئل رسول الله -صلي الله عليه وسلم -: أيُّ المدينتين تُفْتَح أولا: قُسْطنطينيّةٌ أو رُومِيَةٌ؟، فقال رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -: "مدينةٌ هِرَقْلَ تُفْتَح أوّلا"، يعني قسطنطينيةَ. وقد صدقنا صلى الله عليه و سلم الوعد و فتحت القسطنطينية عام 1452 م فمن أين للنبي الكريم صلى الله عليه و سلم ان القسطنطينية تفتح قبل روما و لما لا يكون العكس هو الصحيح.

6- وعن أبَي ذرّ رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خيرا، فإن لهم ذمة ورحما ً.

و كان ذلك بشارة بفتح مصر فمن أين له صلى الله عليه و سلم انهم يفتحون مصر.

7- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ِ صَلَّى اللَّهُ ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا- فمن أين للنبي صلى الله عليه وسلم معرفة حدوث ذلك إلا لو كان وحياً من رب السماء

8-من الغيبيات الماضية :الإخبار عن هامان و أنقل هنا مقالا منقولا عن كتاب بينات الرسول للدكتور الزنداني:

ورد ذكر" هامان" ست مرات في القرآن الكريم، كما ورد اسمه متصلا باسم فرعون كشخص من المقربين إليه ويسند

فرعون إليه أعمال البناء، حيث أمره ببناء صرح عال يصعد عليه، قال تعالى: "وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ * أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً وَكَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبابٍ" فهاتان الآيتان تثبتان وجود شخص اسمه هامان مقرب إلى فرعون، ويكلفه بعمل البناء،بينما لم يرد ذكر لهامان في التوراة، ولم يرد ذكره في أي من المقاطع (الروايات) التي تحكي حياة نبي اللّٰه موسى عليه السّلام، لكن ورد اسم" هامان" في أحد كتب العهد القديم ،لكن هذا الكتاب ذكر أن" هامان" شخص مساعد لملك بابل، وبابل في العراق، وأنه أوقع الكثير من الضرر بالإسرائيليين، ولكن هذه الأحداث كانتبعد نبي اللّٰه موسى بمدة طويلة تبلغ 1100 عام.

ويدّعى بعض الطاعنين في الإسلام أن محمدا صلى اللّٰه عليه وآله وسلم هو الذي كتب القرآن، وأنه نسخ قصص الأ مم السابقة من التوراة والإنجيل، فأخطأ في شخصية هامان فذكر أنه وزير فرعون، بينما هو- حسب دعواهم- مساعد ملك بابل.

وجاءت الكشوف الحديثة في علم الآثار لتظهر صدق ما جاء في القرآن الكريم وبطلان تلك الدعاوى المزعومة بعد أن حلت رموز وحروف الكتابة الهيرو غليفية المصرية القديمة، التي ورد فيها ذكر شخصية هامان وطبيعة عمله. وتوجد الإشارة إلى هذا الاسم في نصب في متحف هوف في فيينا «2» ، كما ظهر في كتاب بعنوان «3» (in the new Kingdom people) في شعب المملكة الجديدة) الذي تم إعداده استنادا إلى مجموعة من النقوش كما ظهرت في هذه النقوش وظيفة وطبيعة عمل هامان وهو أنه كان: (رئيس عمال الحجارة) " ورد الاسم مذكرا، من المملكة الجديدة. وترجمت المهنة إلى اللغة الألمانية بمعنى رئيس أو مراقب العمال في مقالع الحجر ،وهذا كله يثبت

حقيقة ما جاء في القرآن من أن هامان كان في مصر وأنه كان مسئولا عن أعمال البناء وهذه المعلومات لم تكن متوفرة في عهد نبوة محمد صلى اللّٰه عليه وآله وسلم؛ لأن الكتابة الهيروغليفية قد تركت منذ زمن قديم حيث يرجع آخر مثال معروف لاستخدامها إلى عام 394 بعد الميلاد «2» ، ثم نسيت هذه اللغة ولم يكن هناك أحد يستطيع أن يخل رموزها أو يفهمها إلى حوالي 200 سنة مضت في عام 1799 م تم اكتشاف" حجر رشيد (Rosetta () Stone "الذي يرجع تاريخه إلى 196 قبل الميلاد، وبواسطته تم حل شفرة الكتابة المصرية القديمة، ومن خلالها توفرت المعلومات عن الحضارة المصرية القديمة وجوانبها الدينية والاقتصادية والتاريخية وغيرها، ومن ذلك معرفة شخصية" هامان" وطبيعة عمله، كما ذكر ذلك في القرآن الكريم. فمن أين لمحمد صلى اللّٰه عليه وآله وسلم هذا العلم الذي خفي على البشرية في وقته وإلى عصرنا الحاضر حتى قبل 200 سنة تقريبا، إن الإخبار باسم شخص كان يعيش مع فرعون والإخبار عن وظيفته عند فرعون مع أن هذا الإسلام قد سقط عند أهل الكتب المقدسة ونسي من ذاكرة التاريخ، ولم يعثر على هذا الاسم إلا بعد نزول القرآن باثني عشر قرنا بعد أن تم اكتشاف حجر رشيد الذي تمكن به علماء الآثار من فك رموز لغة الفراعنة (الهيروغليفية) فوجدوا اسم هامان يذكر في النقوش الفرعونية وأنه وزير فرعون للبناء تماما كما أخبر القرآن، إن ذلك يدل على أن صدر هذا الخبر الغيبي قد نزل في القرآن من علم اللّٰه، إنه من اللّٰه العليم بكل شيء.
قلت صدق اللّٰه إذ قال :" تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا"

المسلك الرابع:خوارق أخرى
ونضرب مثال بانشقاق القمر :و قد وثق الرب سبحانه

وتعالى تلك المعجزة في الكتاب العظيم فقال تعالى:" اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ" ومثل هذه الآية العظيمة مع ذكرها في القرآن لو لم تكن قد وقعت لتشكك المسلمين في إسلامهم وانفضوا أو بعضهم من حول النبي الكريم ولاستغلها ضده المشركين و لم يؤمنوا له بعدها و لكن إذعان المؤمنين و قوة إيمانهم وإستمرار موجة الإيمان و انحصار تكذيب المشركين في إدعائهم أنه سحر و ليس حقيقة دليل على صدق الواقعة ثم انظر إلى هذه المفاجاة التي تشهد للحادثة.

سجل تاريخ الهند اسم ملك من ملوكهم هو: (جاكرواني فرماس) وأنه شاهد حادثة انشقاق القمر، فسجلت إحدى المخطوطات التاريخية الهندية مايلي:

" شاهد ملك ما جبار" مالابار" بالهند (جاكرواني فرماس) انشقاق القمر؛ الذي وقع لمحمد، وعلم عند استفساره عن انشقاق القمر بأن هناك نبوة عن مجيء رسول من جزيرة العرب، وحينها عين ابنه خليفة له، وأنطلق لملاقاته. وقد اعتنق الإسلام على يد النبي، وعندما عاد إلى وطنه- بناء على توجيهات النبي- وتوفي في ميناء ظفار" وهذه المعلومات في مخطوطة هندية محفوظة في مكتبة دائرة الهند بلندن تحتوي على عدة تفصيلات أخرى عن (جاكرواني فرماس)[3].

و قد ثبت بالنقولات المعتمدة و الأسانيد المتصلة عدد آخر من خوارق العادات مثل تكثير الطعام و الماء و مثل تسبيح الحصى بين يديه و مثل حنين الجذع و غير ذلك كثير.

<u>المسلك الخامس:النظر في دينه الذي جاءبه و إلام يدعو</u>

[3] بينات الرسول للزنداني المخطوطة الهندية موجودة في مكتبة مكتب دائرة الهند بلندن التي تحمل رقم المرجع: عربي 2807، 152 إلى 173 وقد اقتبسها حميد الله في كتابه محمد رسول الله.

ذكرنا أن النبي الحق لا يأمر إلا بمصالح العباد في الدنيا والآ
خرة؛ فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ فيأمر بالتوحيد، و
الإخلاص، والصدق؛ وينهى عن الشرك، والكذب، والظلم. ف
العقول، والفطر توافقه؛ فيصدقه صريح المعقول ،ولو طبقنا
هذا المسلك على العقيدة التي دعا إليها النبي صلى الله
عليه وسلم و الشريعة التي جاء بها و ما فيها من الأمر ب
العدل و الإحسان و مكارم الأخلاق و النهي عن الظلم و
الفحش و سيء الأخلاق و ما جاء به من إباحة الطيبات و
تحريم الخبائث و المنكرات ولو قارنا دينه في هذا بغيرها
من الأديان و العقائد و الشرائع لعلمنا أنه لو لم تأتي من
الرب إلا شريعة واحدة لما كانت غير هذه الشريعة و هذا
حق لأن ما سواها قد تم تحريفه و تبديله.
فالإسلام يدعو إلى الوحدانية و عبادة الرب الواحد الأحد
العليم القدير الذي لا يماثله غيره الغني عن العالمين الحي
الذي لا يموت الذي يفعل ما يشاء بلا ممانع و لا معارض لا
يأمر بالتثليث ولا يحمل الذرية خطيئة أبيها مما ينافي
أصول العدل فضلا ً عن كماله و لا يوجب على الرب
الفداء و الصلب و كأنه عجز عن المغفرة لهم إلا بذلك
ويثبت للرب القدرة الكاملة فلا يدعو لعبادة رب يصرعه
بعض خلقه كما تدعي التوراة ولا رب يموت و يبعث بعد
موته و الإسلام لا يبيح الصلاة ولا السجود ولا أي شكل من
أشكال العبادة لغير الله سبحانه و تعالى لا للصور ولا لرجال
الدين ولا للحكام و السلاطين .
و أما على سبيل الشريعة فقد جائت شريعة الإسلام
متوازنة تحت شعار:" وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا
تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" وجاءت
لتدعو إلى المثالية والكمال مع مراعاتها للواقعية الممكنة
وجاءت بتحريم الخبائث كالخمر و الميتة و الخنزير بخلاف
من أحلها كالنصارى و جاءت بإباحة الطيبات و لم يجعل

آصارا ولا أغلالا كما كانت شريعة اليهود .
وقد ظهر صلى الله عليه وسلم في وقت كان الناس محتاجين إلى من يهديهم إلى الطريق المستقيم، ويدعوهم إلى الدين القويم لأن العرب كانوا على عبادة الأوثان، ووأد البنات. والفرس على اعتقاد الإلهين ووطء الأمهات والبنات.
فإذا علمنا أن الرسالة حق و أنها مقتضى حكمة الرب و عدله و رحمته و انه لا يتركنا بلا رسالة ثم نظرنا في العقائد و الشرائع جميعاً نظرة إنصاف لا يمكن أن يُقدم على الإسلام غيره فإن البون شاسع و الفارق عظيم كما أن الناظر في الكتب المقدسة للأديان جميعها لا يجد مثيلاً او قريباً من القرآن .
يقول ابو حامد الغزالي في المنقذ من الضلال:
فإن وقع لك الشك في شخص معين، أنه نبي أم لا؟ فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله، إما بالمشاهدة، أو بالتواتر والتسامع، فإنك إذا عرفت الطب والفقه، يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم، وسماع أقوالهم، وإن لم تشاهدهم، ولا تعجز أيضاً عن معرفة كون الشافعي رحمه الله فقيهاً، وكون جالينوس طبيباً، معرفة بالحقيقة لا بِ التقليد عن الغير. بل بأن تتعلم شيئاً من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما، فيحصل لك علم ضروري بحالهما. فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن والأخبار، يصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة، وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب، وكيف صدق صلى الله عليه وسلم في قوله: " من عمل بما علم ورثهُ الله علم ما لم يعلم " وكيف صدق في قوله: " من أعان ظالماً سلطهُ الله عليهِ "
وكيف صدق في قوله: " من اصبح وهُمُومُهُ همٌ واحدٌ كفاه الله تعالى هُمُومَ الدنيا والآخرةِ ".
فإذا جربت ذلك في ألف وألفين وآلاف، حصل لك علم

ضروري ولا تتمارى فيه. فمن هذا الطريق اطلب اليقين بـ
االنبوة.

المسلك السادس:بشارات سابقة على زمنه
وَالدّلِيل على ذَلِك أنه ادّعى أن ذكره مَوْجُود في التوراة و ا
لإنجيل قَالَ الله تعَالَى {الّذين يتبعُون الرّسُول النّبِي الأمّي
الّذِي يجدونه مَكْتُوبًا عِنْدهم فِي التّوْرَاة وَالْإِنْجِيل} وَقَالَ
حِكَايَة عَن عِيسَى الْمَسِيح {وَمُبشرا برَسُول يَأْتِي من بعدِي
اسْمه أَحْمد} وَقَالَ {الّذين آتَيْنَاهُم الْكتاب يعرفونه كَمَا
يعْرفُونَ أَبْنَاءَهُم} وَمَعْلُوم أنه لَولم يكن صَادِقا ً فِي ذَلِك
لَكَانَ هَذَا من أعظم المنفرات عَنهُ للْيَهُود وَالنّصَارَى وَلَا
يُمكن أن الْعَاقِل يِ ُقد ِم على فعل يمنعهُ من مَطْلُوبه وَيَ
ُبْطل عَلَيْهِ مَقْصُوده وَلَا نزاع بَين الْعُقَلَاء انه كَانَ من
أعقل النّاس وأحلمهم ثم لو لم يكن الأمر كذلك ما أسلم أحد
من أهل الكتاب و قد أسلم منهم كثير منهم عدد ليس
بصغير من كبرائهم و رؤسائهم و أحبارهم.
ثم نعتمد في هذا المسلك على إيراد بشارات سابقة على
وجوده صلى الله عليه و سلم و انقل هنا بعضها نقلا ً عن
كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي مع بعض التعليق
عليها:
1- الآية الحادية والعشرون من الباب الثاني والثلاثين من
سفر الاستثناء هكذا: (هم أغاروني بغير إله وأغضبوني
بمعبوداتهم الباطلة وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب وبشعب
جاهل أغضبهم) والمراد بشعب جاهل العرب لأنهم كانوا في
غاية الجهل والضلال، وما كان عندهم علم لا من العلوم
الشرعية ولا من العلوم العقلية، وما كانوا يعرفون سوى
عبادة الأوثان والأصنام، وكانوا محقرين عند اليهود لكونهم
من أولاد هاجر الجارية. فمقصود الآية أن بني إسرائيل
أغاروني بعبادة المعبودات الباطلة فأغيرهم باصطفاء الذين
هم عندهم محقرون وجاهلون، فأوفى بما وعد فبعث من

العرب النبي صلى الله عليه وسلم فهداهم إلى الصراط المستقيم
2- في الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء في الترجمة العربية المطبوعة سنة 1844 هكذا: (وقال جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير واستعلى من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنة من نار) . فمجيئه من سيناء وإعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام وإشراقه من ساعير وإعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام، واستعلانه من جبل فاران إنزاله القرآن لأن فاران جبل من جبال مكة في الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في حال إسماعيل عليه السلام هكذا: 20 (وكان الله معه ونما وسكن في البرية وصار شاباً يرمي بالسهام 21 وسكن برية فاران وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر) . ولا شك أن إسماعيل عليه السلام كانت سكونته بمكة وتعبيره باستعلائه يدل على انتشار الرسالة و سيادتها و هو ما حدث بالفعل.
3- وهذه البشارة واقعة في آخر أبواب إنجيل يوحنا، وأنا أنقل عن التراجم العربية المطبوعة سنة 1821 وسنة 1831 وسنة 1844 في بلدة لندن
"إن كنتم تحبوني فحافظوا على كلامي، وأنا ألتمس الآب فيرسل إليكم فارقليط آخر؛ ليمكث معكم إلى أبد الآبدين" ثم قال بعدها بيسير :" إن خيراً لكم أن أنطلق لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط؛ فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء فهو يوبخ العالم على الخطيئة، وإن لي كلاماً كثيراً أريد قوله ولكنكم لا تستطيعون حمله. لكن إذا جاء روح الحقّ ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحقّ. لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع. ويخبركم بكلّ ما يأتي. ويعرفكم جميع ما للآب"
فهذا من الأدلة على نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم -، فإنه يدل على أن الله سيبعث إليهم من يقوم مقامه، وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه، وتكون

شريعته باقية مخلدة أبدا ً. فهل هذا إلا محمد -صلى الله عليه وسلم-؟ !.- وفيها أن المسيح عليه السلام اعترف بأن هذا (الفارقليط) الآتي أفضل منه؛ إذ قال: "إن الخيرة لهم في انطلاقه ومجيء الفارقليط الآخر".

وقد اختلف النصارى في تفسير " الفارقليط "، فقيل: هو الحامد، وقيل: المخلص.

فإن وافقناهم على أنه المـ ُخـ َلص اقتضى أن المخلص رسول يأتي لخلاص العالم، وذلك من غرضنا؛ لأن كل نبي مخلص لأمته من الكفر، وإن لم يكن محمداً صلى الله عليه و سلم مخلصاً لم يستحق ذلك غيره ممن هو أقل أثراً منه.

وإن وافقناهم على القول بأنه الحامد، فأي لفظ أقرب إلى أحمد ومحمد من هذا. وهو موافق لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} .

فإذا ثبت أن المسيح هو الذي وصف نفسه بأنه مخلص العالم، وهو الذي سأل لهم فارقليط آخر، ففي مقتضى اللفظ ما يدل على أنه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتي فارقليط آخر.

4- في (سفر أشعياء: 29 - 12) ما نصه: «أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا، فيقول: لا أعرف الكتابة»، الكتاب: القرآن، قال تعالى عن النبي الأمي: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّه ِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأ َرْضِ لا إِلَهَ إِلا ّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّه ِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأ ُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّه ِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [4].

المسلك السابع:حسن المآل و حسن العاقبة

[4] نقلا ً عن عرفوا الحق فتركوا الباطل لشحاتة صقر

قلنا إنه يمتنع في حكمة الرب وعدله أن يُسوّي بين رسله
خيار الخلق، وبين المتنبئين الكاذبين الذين هم شرار الخلق؛
لا في سلطان العلم وبراهينه وأدلته، ولا في سلطان النصر و
التأييد، بل يجب في حكمته أن يظهر الآيات والبراهين
الدالة على صدق هؤلاء، وينصرهم، ويُؤيّدهم، ويُعزّهم،
ويُبقي لهم لسان الصدق، ويفعل ذلك بمن اتبعهم، وأن يظهر
الآيات المبينة لكذب أولئك، ويذلهم، ويخزيهم، ويفعل ذلك
بمن اتبعهم؛ و الناظر في سيرة الرسول محمد صلى الله
عليه وسلم يلحظ هذا جلياً واضحاً بل هو أوضح ما يكون
فما توفى صلى الله عليه وسلم إلا و قد دانت له الجزيرة
العربية بعدما كان وحده في مواجهتها و أصبح ألد أعدائه
من أتباعه المخلصين وقد اتسعت دعوته حتى بعد وفاته
حتى بلغت بعد أقل من مائة عام من هجرته الأندلس غرباً و
الهند شرقاً و تركيا شمالاً والحبشة جنوباً و بقيى له لسان
الصدق و السمعة الطيبة و الثناء الحسن حتى مِن كثير
من أعدائه ثم الناظر إلى أحوال أمته بأنها كلما اقتربت من
تعاليمه اشتدت قوتها و اذدهرت أحوالها و كلما بعدت عن
تعاليمه تناقصت قوتها وذلت لأعدائها،ثم كان مع هذا كله
أزهد الزاهدين و أعبد العابدين و خير المتواضعين ثم
الناظر في حال أصحابه رضي الله عنهم و أخلاقهم و
كيف كانوا قبل إيمانهم و كيف أصبحوا بعده ، ثم انظر كيف
كانت سيرته في حال ضعفه ووحدته و انظر كيف كانت
سيرته في حال غلبه و تمكنه تجد أن الدنيا لم تتمكن من
قلبه و لم يكن لها عليه سلطان.
أنظر إلى من كان متنبئاً كاذباً كالقادياني و ماني الذي
ينتسب إليه المانوية ومسيلمة و العنسي و غيرهم كيف كان
عاقبتهم و كيف كانت سيرتهم و كيف كانت اخلاقهم و كيف
كانت دعواتهم وكيف كانت شرائعهم ثم قارنهم بسيرة
محمد صلى الله عليه وسلم أو موسى أو عيسى عليهما السـ
ـلام أو نوح أو إبراهيم أو هود أو صالح عليهم السلام

اجمعين.

ملحق رسالة المسلم

رسالة المسلم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين و الص
لاة و السلام على أشرف المرسلين خير خلق الله
الرحمة المهداة سيدنا و نبينا محمد بن عبد الله أما بعد
،

"يَا أيُهَا النّاسُ اعبُدُوا رَبّكُمُ الذِي خَلَقكُمْ وَالذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلكُمْ تتقُونَ"

"يَا أيُهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ"

"يَا أيُهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلَا تمُوتُنّ إلّا وَأنْتُمْ مُسْلِمُونَ" .

أما بعد،

فإن للمؤمن في هذه الحياة الدنيا شأن و لسائر الناس بل و أقول لسائرالمخلوقات شأن آخر، فالمؤمن يعلم بأنه لم يخلق سدى و لم يترك عبثا بل خلق لغاية و

يحيا بشريعة يقول تعالى " ثم جعلناك على شريعة من ا لأمر فاتبعها و لا تتبع أهواء الذين لا يعلمون" ، ثم إن له موعدا ً لن يُخلفه فإما إلى جنة و إما إلى نار، لذا كان موضوع هذه الورقات أحبتى في اللّه بعنوان رسالة المسلم ،فهلم بنا إخواني و أحبابي في اللّه لنتعرف على رسالة المسلم في هذه الحياة الدنيا التي إن حققها أثمرت له سعادة الدارين.

أولا :ما معنى الرسالة

الرسالة هي كلمة تعبر عن المعنى الذي من أجله وُجد صاحبها سواء كان شخصاً أو مجموعة أو مؤسسة أو دولة او أمة، فرسالة الإنسان هي ما جعله غاية له، يعيش من أجلها و يموت في سبيلها.

فما هي رسالة المسلم:

الجواب رسالة المسلم هي العبودية الخالصة لله عز وجل طلباً لجنته وثوابه ، و هربا من ناره و عقابه، يقول اللّه عز وجل "و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون" – ويقول وما أمروا إلا ليعبدوا اللّه " مخلصين له الدين" .

لماذا العبودية الخالصة:

و العبودية هي الوصف الذي وصف به اللّه عز وجل حبيبه و صفيه و خليله سيد الخلق أجمعين سيدنا و نبينا محمد صلوات ربي عليه و تسليماته في أسمى المقامات ؛ مقام الإسراء يقول اللّه عز و جل " سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد ا لأقصى"، و مقام المعراج يقول "فأوحى إلى عبده ما أوحى" ، و مقام الدعوة في قوله تعالى :" وأنه لما قام عبد اللّه يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا" – و المعنى في ذلك أن النبي الكريم لما تكاملت فيه معاني العبودية لله عزوجل صار سيداً للخلق أجمعين ، فاستحق التقديم على سائر الخلائق فكان صاحب الوسيلة والشفاعة التي يتأخر عنها جميع الرسل ولهذا يقول المسيح حين يُرغب إليه في الشفاعة اذهبوا إلى محمد؛ عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكان استحقاقه تلك الرتبة العليا بتكميل عبوديته لله وبكمال

مغفرة الله له فبان أن غاية المقامات ونهايتها هو التوبة والعبودية المحضة،إذا تبين هذا فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه أو أن الخروج عنها أكمل ، فهو من أجهل الخلق وأضلهم قال تعالى { وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون}فرتبة كل إنسان و منزلته هي بمدى تحقيقه لمعاني و حقوق عبوديته لله عز وجل ، فليس بين الرب والعبد نسبة إلا محض العبودية فكلما كملها قرب العبد إليه ، لأنه سبحانه بر جواد محسن يُعطى العبد ما يناسبه فكلما عظم فقره اليه كان أغنى، وكلما عظم ذله له كان أعز.

وتحقيقها هو مقصود الرسالات يقول تعالى "ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة" فمن حقق العبودية فهو ممن هدى الله ومن استكبر عنها فهو ممن حقت عليه الضلالة وكان نصيبه قول الله

تعالى "إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين".

وقد أخبر الله عز وجل أن عباده الذين استحقوا هذا الوصف معصومون من تسلط الشياطين يقول تعالى " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان"، و يتحقق ذلك بإخلا ص العمل ودوام اليقين حتى إذا أُشرب القلب بِ العبودية والإخلاص صار عند الله من المقربين وشمله استثناء إلا عبادك منهم المخلصين.

<u>حقيقة العبودية:</u>

- معنى العبادة في اللغة التذلل و الإنقياد،وهى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والا عمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام و الحج وصدق الحديث وأداء الامانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف و النهى عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والا حسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل و المملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر و القراءة وامثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله

ورسوله وخشية الله والانابة إليه وإخلاص الدين
له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه و
التوكل عليه بل وحتى المباحات من الأكل و
الشرب و النوم و الجماع إذ تحقق فيه قصد
التقرب إلى الله وكان على مقتضى شريعة رسوله
عليه أفضل و أزكى صلاةً وسلاماً من رب العالمين.

- و لفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب
وهذا أعلى الكمال حصل لأبراهيم ومحمد صلى
الله عليهما وسلم ولهذا لم يكن له من أهل الأرض
خليل قال صلى الله عليه وسلم " لو كنت متخذا
من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا و لكن
صاحبكم خليل الرحمن" إذ الخلة لا تحتمل الشركة
بخلاف أصل الحب فإنه [صلى الله عليه و سلم
قد قال في الحديث الصحيح في الحسن وأسامة :
اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما]
[وسأله عمرو بن العاص : أي الناس أحب إليك ؟ ق
ال عائشة : قال فمن الرجال ؟ قال : أبوها] [وقال
لعلى رضى الله عنه : لأعطين الراية رجلا يحب

الله ورسوله ويحبه الله ورسوله] وأمثال ذلك كثير .

- والقلب السليم الذي حقق هذه المرتبة: هو الذي همه كله في الله وحبه كله له وقصده له وبدنه له وأعماله له ونومه له ويقظته له وحديثه له ،و الحديث عنه أشهى إليه من كل حديث وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابه ، الخلوة به آثر عنده من الخلطة إلا حيث تكون الخلطة أحب إليه وأرضى له، قرة عينه به وطمأنينته وسكونه إليه فهو كلما وجد من نفسه التفاتا إلى غيره ، تلا عليها "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية" ، فهو يردد عليها الخطاب بذلك ليسمعه من ربه يوم لقائه فينصبغ القلب بين يدي إلهه ومعبوده الحق بصبغة العبودية، فتصير العبودية صفة له وذوقا لا تكلفاً فيأتي بها توددا وتحببا وتقرباً كما يأتي المحب المقيم في محبة محبوبه بخدمته وقضاء أشغاله فكلما عرض له أمر من ربه أو نهي أحس من قلبه ناطقا ينطق لبيك وسعديك

إني سامع مطيع ممتثل ولك علي المنة في ذلك و الحمد فيه عائد إليك.

- و أهل مرتبة العبودية هم الذين لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه فيعرفون به دون غيره من الأعمال ، فإن هذا آفة في العبودية وهي عبودية مقيدة وأما العبودية المطلقة فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب به معهم .

<u>الأسباب المعينة على تحقيق العبودية:</u>

فإذا علمنا أن رسالة المسلم في الحياة هي تحقيق العبودية الخالصة لله جل و تعرفنا على معنى وحقيقة العبودية لله جل و علا فعلينا أن نتعرف على بعض أهم العوامل و الأسباب التي تعين على النجاح في تحقيق رسالتنا:-

1- <u>رجاء الرب:</u>

فإن طمع العبد فى ربه ورجاؤه له يوجب عبوديته له ، وإعراض قلبه عن الطلب من غير اللّٰه والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية لغير لله، بخلا ف من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق بحيث يكون قلبه معتمداً إما على رئاسته وجنوده واتباعه ومماليكه ،وإما على اهله واصدقائه ، وإما على أمواله وذخائره ، وإما على ساداته وكبرائه كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم، فقد اعتمد على من مات او يموت وقد قال تعالى:
"وتوكل على الحى الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا " ، فيكون عليه هذا التعلق حسرة و ندامة ،والخلق أهون ما تكون عليهم أحوج ما تكون انت اليهم لأنهم كلهم محتاجون فى أنفسهم فهم لا يعلمون حوائجك ولا يهتدون الى مصلحتك بل هم جهلة بمصالح أنفسهم فكيف يهتدون الى مصلحة غيرهم ، فإنهم لا يقدرون عليها ولا يريدون من جهة أنفسهم قضائها ولو أرادوا قضائها فيكون ذلك لموافقة ذلك

حاجة لهم لا لحاجتك أنت، فلا علم ولا قدرة ولا
إرادة ، والرب تعالى يعلم مصالحك ويقدر عليها
ويريدها رحمةً منه وفضلا ، فالعبد الحق هو الذي
كمل توكله في قضاء حاجاته على ربه و لم يتعلق
قلبه بشيء سواه ، فاللّهم ارزقنا حسن التوكل
عليك.

2- تزكية القلب و النفس :

وقد جعل الله تزكية النفس سبباً للفلاح يقول تعالى:
" قد أفلح من زكاها"،وبيان ذلك ان من ذاق طعم الإ
يمان والعبودية وقوي الإخلاص فى قلبه انقهر له
هواه بلا علاج، ومن أجل هذا قال تعالى:" ان الصلا
ة تنهى عن الفحشاء والمنكر" فالصلاة إذا أقيمت كما
أمرنا بها كانت دافعة لهوى النفس الدافع نحو
الفحشاء و المنكر لما فيها من تحقيق معاني العبودية
لله جل وعلا فإن الصلاة متضمنة للخشوع لله و
العبودية له و التواضع له و الذل له و ذلك كله مضاد
للخيلاء و الفخر و الكبر ،فالتزكية تكون أولا ً بأداء
الفرائض و الطاعات إذ الإتيان بالفرائض على الوجه

المأمور به فيه امتثال الأمر واحترام الآمر بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية لذا فكان التقرب بذلك أعظم العمل أما النفل فلا يفعله المؤمن إلا إيثاراً للخدمة فيُجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من تقرب بخدمته،كما أن ترك الفواحش و المنكرات من زكاة النفوس أيضاً يقول تعالى"قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم" ،وهو محتاج في هذا كله للصبر؛ فأما الطاعة فالعبد محتاج إلى الصبر عليها لأن النفس بطبعها تنفر عن كثير من العبودية، أما في الصلاة فلما في طبعها من الكسل وإيثار الراحة ولا سيما إذا اتفق مع ذلك قسوة القلب وغفلة الذنب والميل إلى الشهوات ومخالطة أهل الغفلة فلا يكاد العبد مع هذه الأمور وغيرها أن يفعلها وإن فعلها مع ذلك كان متكلفاً غائب القلب ذاهلا ً عنها طالباً لفراقها ك الجالس إلى الجيفة وأما الزكاة فلما في طبعها من الشح والبخل وكذلك الحج والجهاد للأمرين جميعاً ، وأما الصبر عن المعاصي فأمره ظاهر وأعظم ما يعين

عليه قطع المألوفات ومفارقة الأعوان عليها في
المجالسة والمحادثة وقطع العوائد فإن العادة إذا
انضافت إليها الشهوة تظاهر جندان من جند الشيطان
فلا يقوى باعث الدين على قهرهما،و صبر العبد عن
المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه فكلما كان إيمانه
أقوى كان صبره أتم وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر
، فإن من باشر قلبه الإيمان بقيام اللّٰه عليه ورؤيته له
وتحريمه لما حرم عليه وبغضه له ومقته لفاعله
وباشر قلبه الإيمان بالثواب والعقاب والجنة والنار
امتنع من أن لا يعمل بموجب هذا العلم ،ومن ظن أنه
يقوى على ترك المخالفات والمعاصي بدون الإيمان
الراسخ الثابت فقد غلط ،فإذا قوي سراج الإيمان في
القلب وأضاءت جهاته كلها به وأشرق نوره في
أرجائه سرى ذلك النور إلى الأعضاء وانبعث إليها
فأسرعت الإجابة لداعي الإيمان وانقادت له طائعة
مذللة غير متثاقلة ولا كارهة، بل تفرح بدعوته حين
يدعوها كما يفرح الرجل بدعوة حبيبه المحسن إليه
إلى محل كرامته ،فهو كل وقت يترقب داعيه

ويتأهب لموافاته والله يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

3- التوبة إلى الله:

وينبغى أن يعرف أن التوبة لا بد منها لكل مؤمن و لا يكمل أحد ويحصل له كمال القرب من الله ويزول عنه كل ما يكره إلا بها،فالله تعالى يبتلي عبده المؤمن بما يتوب منه ليحصل له بذلك من تكميل العبودية والتضرع والخشوع لله والإنابة إليه وكمال الحذر فى المستقبل والإجتهاد فى العبادة ما لم يحصل بدون التوبة، كمن ذاق الجوع والعطش والمرض والفقر والخوف ثم ذاق الشبع و الري والعافية والغنى والأمن ، فإنه يحصل له من المحبة لذلك وحلاوته ولذته والرغبة فيه وشكر نعمة الله عليه والحذر أن يقع فيما حصل أولا ما لم يحصل بدون ذلك.

4- العلم:

فالعلم الصافي المتلقى من مشكاة الوحي والنبوة يهذب صاحبه لسلوك طريق العبودية ، وحقيقتها

التأدب بآداب رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا، وتحكيمه باطنا وظاهرا ،والوقوف معه حيث وقف بك ، والمسير معه حيث سار بك، بحيث تجعله بمنزلة الذي قد ألقيت إليه أمرك كله سره وظاهره واقتديت به في جميع أحوالك ، ووقفت مع ما يأمرك به فلا تخالفه البته، فتجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لك شيخا وإماما ً وقدوة وحاكما ً وتعلق قلبك بقلبه الكريم وروحانيتك بروحانيته وهو انواع أهمها:

أ- العلم بمراد الله : فالعبد أحوج شيء إلى علم ما يضره ليجتنبه وما ينفعه ليحرص عليه ويفعله ، فيحب النافع له في دينه و دنياه ويبغض الضارله فيهما فتكون محبته وكراهته موافقتين لمحبة الله تعالى وكراهته، وهذا من لوازم العبودية والمحبة ومتى خرج عن ذلك أحب ما يسخطه ربه وكره ما يحبه ، فنقصت عبوديته بحسب ذلك وههنا طريقان : العقل والشرع أما العقل فقد وضع الله سبحانه في العقول والفطر استحسان الصدق و

العدل والإحسان والبر والعفة والشجاعة ومكارم ا لأخلاق وأداء الأمانات وصلة الأرحام ونصيحة الخلق والوفاء بالعهد وحفظ الجوار ونصر المظلوم والإعانة على نوائب الحق وقرى الضيف وحمل الكل ونحو ذلك ، ووضع في العقول والفطر استقباح أضداد ذلك وأما السمع وهو أوسع وأبين وأصدق من الطريق الأول لخفاء صفات الأفعال وأحوالها ونتائجها وأن العالِم بذلك على التفصيل ليس هو إلا الرسول صلوات اللّٰه وسلامه عليه، فأعلم الناس وأصحهم عقلا ورأيا واستحسانا من كان عقله ورأيه واستحسانه وقياسه موافقا للسنة كما قال مجاهد : أفضل العبادة الرأي الحسن وهو اتباع السنة ،قال تعالى "ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق" ، أما الرأي المخالف للسنة فهو جهل لا علم وهوى لا دين ، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من اللّٰه وغايته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة ، وإنما ينتفي الضلال والشقاء عمن اتبع هدى اللّٰه الذي

أرسل به رسله وأنزل به كتبه كما قال تعالى : "فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى".

ب- العلم بالله و العلم بالنفس:فالعلم بالله وبما له من صفات الكمال و الجلال يورث لدى العبد من المحبة ما يجعله يحب العبودية لله و يفضلها على الحرية ويرضى بها ولا يرضى عنها بديلا ،ولو نظرنا في قصة زيد بن حارثة و كانَ غُلَامًا لِخَدِيجَةَ فَوَهَبَتْهُ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا تزَوّجَهَا . وَقَدِمَ أَبُوهُ حَارِثَةَ وَعَمّهُ فِي فِدَائِهِ . فَقَالَا لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَا ابْنَ سَيّدِ قَوْمِهِ أَنْتُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللّهِ وَجِيرَانُهُ تفُكّونَ الْعَانِيَ وَتُطْعِمُونَ الْأَسِيرَ . جِئْنَاك فِي ابْنِنَا عَبْدِك فَأَحْسِنْ لَنَا فِي فِدَائِهِ . فَقَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " فَهَلْ غَيْرُ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ أَدْعُوهُ فَأُخَيّرُهُ فَإِنْ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ . وَإِنْ اخْتَارَنِي : فَوَاَللّهِ مَا أَنَا بِاَلّذِي أَخْتَارُ عَلَى مَنْ اخْتَارَنِي " قَالُوا : قَدْ زِدْتنَا

عَلَى النّصْفِ وَأَحْسَنْت . فَدَعَاهُ . فَقَالَ " هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلَاءِ ؟ " قَالَ نَعَمْ أَبِي وَعَمّي . قَالَ " فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْت وَقَدْ رَأَيْت صُحْبَتِي لَك . فَاخْتَرْنِي ، أَوْ اخْتَرْهُمَا " فَقَالَ مَا أَنَا بِاَلّذِي أَخْتَارُ عَلَيْك أَحَدًا . أَنْتَ مَكَان أَبِي وَعَمّي . فَقَالَا : وَيْحَك يَا زَيْدُ أَتَخْتَارُ الْعُبُودِيّةَ عَلَى الْحُرّيّةِ . وَعَلَى أَبِيك وَعَمّك ، وَأَهْلِ بَيْتِك ؟ قَالَ نَعَمْ قَدْ رَأَيْت مِنْ هَذَا الرّجُلِ شَيْئًا ، مَا أَنَا بِاَلّذِي أَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا – فلما رأى زيد من كمال الرسول و جلال صفاته رضي بالعبودية له ما دامت في قربه و لم يرضى عنها الحرية و جوار الأب و العم بديلا ، فما بالنا بمن يعرف ربه جل جلاله و عظيم صفاته سبحانه و تعالى فلا شك أن المعرفة بجلال الله وعظمته وعزته تثمر لنا الخضوع والاستكانة والمحبة وتثمر للعبد من الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية هي موجباتها .

وكذلك العلم بكماله وجماله وصفاته العلا يوجب له محبة خاصة هي نوع من أنواع العبودية له .

فرجعت العبودية كلها إلى العلم بالأسماء والصفات

وارتبطت بها ارتباط وثيقاً.

- ولا تتحقق العبودية و الفقر الاختياري لله عز وجل إلا نتيجة علمين شريفين أحدهما معرفة العبد بربه، والثاني معرفته بنفسه فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا فقرا هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام ومن عرف ربه بالعز التام عرف نفسه بالمسكنة التامة ومن عرف ربه بالعلم التام والحكمة عرف نفسه بالجهل فالله سبحانه أخرج العبد من بطن أمه لا يعلم شيئا ولا يقدر على شيء ولا يملك شيئا ولا يقدر على عطاء ولا منع ولا ضر ولا نفع و لا شيء البتة فكان فقره في تلك الحال إلى الرب الذي به كماله أمرا مشهودا محسوسا لكل أحد وما أسبغه عليه من نعم العلم والقدرة بعد ذلك فهو هبة منه و ابتلاء فمن عرف أن فقره إلى الله و أن

جهله و ضعفه اوصاف ذاتية لا تنفك عنه مهما علا علمه و علت قدرته نجا و كان عبداً ربانياً ، ومن ظن بنفسه الإستغناء ظهر منه الطغيان بقدر هذا ا لإستغناء يقول المولى تبارك و تعالى "كلا إن الإ نسان ليطغى أن رآه استغنى" .

ج- العلم بالجزاء :

فالعلم بالجزاء وكيف يجازي الله جل وعلا المكلفين وبما يجازي من عباده الصالحين و بما يجازي المستكبرين المتبعين أهوائهم هو ثلث العلم و هو الدافع الأقوى لتحقيق العبودية،فمن عرف قيمة الجزاء شمر للعمل ومن عرف عظمة الآ خرة هانت في نظره الدنيا و سهل أمرها و صارت مطية يمتطيها لبلوغ مراده وفقهت نفسه قال الحسن البصري: "وهل رأيت فقيهاً بعينك؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح

لجماعتهم".

5- <u>الخوف من الله عز وجل وخشيته:</u>

- والخشية خاصية العلماء بالله تعالى يقول العليم الخبير " إنما يخشى الله من عباده العلماء" فالخشية ثمرة العلم ، والخوف من الله موجب لدخول الجنة يقول تعالى "ولمن خاف مقام ربه جنتان"- بل الخوف من الله هو أصل كل خير في الدنيا والآخرة يقول رب العزة سبحانه و تعالى "{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا <u>هُدًى وَرَحْمَةٌ</u> لِلَّذِينَ هُمْ <u>لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ</u> " فخص الله عز وجل <u>الهدى</u> و المقصود هنا الهداية الدافعة إلى العمل لا الإرشاد المجرد فهو حاصل بـ الكتاب لكل أحد <u>والرحمة</u> اللذين هما مصدر كل خير بالذين هم لربهم يرهبون و وأما غيرهم فلا يكون الكتاب لهم هدى و لا رحمة بل إقامة حجة ونزع عذرٍ و موجب للتعذيب فيكونون كما قال تعالى في ثمود "وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا

الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" ، فما فارق الخوف قلب إلا خرب كما قال أبو سليمان الداراني رحمه اللّٰه .

- والتشديدات الواردة في الأمن من مكر اللّٰه وعذابه لا تنحصر، وكل ذلك ثناء على الخوف، لأن مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه، بل نقول: كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان، فإن كل من رجا محبوباً فلا بد وأن يخاف فواته، و كل ما ورد في فضل البكاء من خشية اللّٰه فهو إظهار لفضيلة الخشية، فإن البكاء ثمرة الخشية ومن ذلك حديث "سبعة يظلهم اللّٰه يوم لا ظل إلا ظله " وذكر منهم " رجلاً ذكر اللّٰه خالياً ففاضت عيناه ".

6- <u>كثرة الذكر</u>:

فمؤانسة الذكر توصل لمؤانسة القرب ومؤانسة القرب توصل لمؤانسة الشهود لمقام الربوبية لله عز وجل و مقام العبودية للذات الفقيرة، فالمحب

الصادق لا ينفك عن ذكر محبوبه ما عاش و إذا
أكثر من ذكره فإنه يشعر بقربه وإن كان بعيداً
فيشعر بأنه معه يأنس به في كل لحظة و في كل
حركة وفي كل سكنة فما بالك بمن أحب اللّٰه عز
وجل الذي هو معنا حيث كنا معية علمٍ ورعاية ،
ومن أكثر من ذكر محبوبه باللسان كثر التطلع
لجميل صفاته بالجنان ، والعبد إذا تطلع لصفات
العظمة والكبرياء و العلم و العزة والجلال ازداد
رهبة ،و إذا تطلع إلى صفات الجود والعطاء والإ
كرام ازداد رغبة ، وإذا تطلع إلى صفات الحب و
الرحمة و الود والجمال ازداد حباً لله جل وعلا ،
فأثمر ذلك كله له خضوع العبودية بالإنكسار والإذلا
ل وانصراف القلب و تعلقه باللّٰه وحده و الشوق
إلى رضاه و نعيمه و الخوف من غضبه و عقابه،
وقد أرشدنا اللّٰه عز وجل و أمرنا بالإكثار من الذكر
في قوله " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا
كَثِيرًا".

7- <u>مطالعة النعم:</u>

- قد أرشدنا الرب تبارك و تعالى إلى ذلك في قوله تعالى:" فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "، فجعل التذكر لنعمه سبحانه و تعالى طريقا للفلاح و ذلك أن إدامة التفكر في نعم اللّه عز وجل وفي فضل المنعم يفضي بالعبد إلى المحبة لله عز وجل فـ البشر مفطورون على حب المنعم إليهم كما يفضي أيضاً إلى استقلال العمل و استعظام الزلل الواقع من العبد و إلى استخضار عِظَم رحمة الرب ومنته إذ يرزقنا و نعصيه و يمنن علينا و لا نوفيه حقه، فيثمر ذلك بجانب المحبة للمنعم جل و علا رجاءً و خشية لذا "كانت الفكرة في نعم اللّه أفضل العبادة" كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه.

- و إحصاء نعم اللّه على عباده خارج عن مقدور البشر ،يقول اللّه عز و جل " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" قال البغوي أي: " لا تطيقوا عدّها ولا القيام بُشكرِها" - والظلوم الذي يشكر غير من أنعم عليه، والكفار: الذي يجحد

منعمه ، وفي النحل : "وإن تعدوا نعمة اللّه لا تحصوها إن اللّه لغفور رحيم " أي غفور لتقصيركم في شكر النعم و العمل بمقتضاها ،رحيم حيث وسع عليكم النعم و لم يقطعها جزاءً لتقصيركم.

عقبات على طريق تحقيق العبودية

1- كبر النفس:

فالنفس فيها شيئ من الكبر فتحب أن تخرج من العبودية و الإتباع بحسب الإمكان ، لذا فإن لم يروضها صاحبها أهلكته يقول أبي عثمان النيسابوري: "ما ترك أحد شيئًا من السنة إلا لكبر في نفسه" ، فإن خلا لها الطريق ولم يجاهدها انسلخ القلب عن حقيقة العبودية و المتابعة و صار فيه من الكبر و ضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه ،فالنفس من شأنها الإباق و الخروج من رقّ العبودية ، و تضييع حقوق اللّه عز و جل و حقوق العباد التي عليها ، و القلب شريكها إن قوي سلطانها صار أسيرها ، و هي شريكته و أسيرته إن قوي سلطانه.

أما الصالحون من عباده فهم الذين لا يستكبرون عن عبادته، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان كما أن الجنة لا يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فجعل الكبر مقابل الإيمان فإن الكبر ينافى حقيقة العبودية.

2- التعلق بغير الله:

وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أويرزقوه أو يهدوه خضع قلبه لهم وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك وإن كان في الظاهر أميرا ً لهم مدبرا ً لهم متصرفا ً بهم فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيرا لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها لا سيما إذا درت بفقره إليها وعشقه لها وأنه لا يعتاض عنها بغيرها فإنها تحكم حكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلا ص منه بل أعظم فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن

واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن ، فالشرع علمنا أن نسعى في الأخذ بالأسباب بأبدانا اما القلوب فلا تُعلَق إلا بربها العزيز الحكيم.

3- الجهل و حمق النفس المؤدي للاستعلاء بالمحبة:

فإذا ضَعُف العقل وقَل العلم بالدين وفي النفس محبة انبسطت النفس بحمقها في ذلك كما ينبسط الإنسان في محبة الإنسان مع حمقه وجهله ويقول أنا محب فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع العمل التي يكون فيها عدوان وجهل فهذا عين الضلال وهو شبيه بقول اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه،ولهذا أنزل الله للمحبة محنة يمتحن بها المحب فقال تعالى : { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله } يقول الحافظ ابن كثير :"هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشريعةالمحمدية والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله فلا يكون محبا لله إلا من يتبع رسوله" ،فطاعة الرسول ومتابعته هي التحقيق للعبودية وكثير ممن

يدعي المحبة يخرج عن شريعته وسننه ويدعي من الخيالات و النظريات و الأفكارما لا يتسع هذا الموضع لذكره.

4-الغرور:

وهو حال المغتر الذي غرته نفسه وشيطانه وهواه وأمله الخائب الكاذب بربه حتى أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والغرور ثقتك بمن لا يوثق به وسكونك إلى من لا يسكن إليه ورجاؤك النفع من المحل الذي لا يأتي بخير كحال المغتر بالسراب قال تعالى:" والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا ً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب" .

وأخطر أسباب الغرور هو الغفلة عن الذنوب و استعظام العمل،فَإِنّ مَنْ عَدّ عَمَلَهُ عَظِيمًا قَلّمَا يَخْلُو عَنْ الْكِبْرِ و العجب والغرور ، وَأَنّ مَنْ يَتَذَكّرُذُنُوبَهُ لَا يَسْتَعْظِمُ عَمَلَهُ وَلَا يَخْلُو عَنْ إضَافَةِ عَمَلِهِ إلَى رَبِّهِ ، ولذا كان ابتلاء الله عز وجل لعباده بالذنوب ليحصل لهم به من تكميل العبودية ما لم يكن ليحصل بدونه.

5- قسوة القلب:

- فإن العمل السيىء مصدره عن فساد قصد القلب ثم يعرض للقلب من فساد العمل قسوة فيزداد مرضا على مرضه حتى يموت ويبقى لا حياة فيه ولا نور له وكل ذلك من انفعاله بوسوسة الشيطان وركونه إلى عدوه الذي لا يفلح إلا من جاهره بالعصيان ، يقول تعالى:" ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة"،فلَا يَتَأَثّرَ بِالْمَوَاعِظِ وَالزّوَاجِرِ، و كم من ذكرٍ يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجاباً من قسوة القلب، فما ضُرب عبد بعقوبة قط أعظم من قسوة القلب ، والبعد عن اللّٰه.

- وقسوة القلب قد تكون نتيجة لكثرة الذنوب كما قال ابن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب .... وقد يورث الذل إدمانها

كما قد تكون نتيجة الإسراف في الشهوات و الإنغماس في الملذات والحب الشديد للدنيا ، فإن حب الدنيا

سبب في قسوة القلب، والصد عن سبيل الله ،والزهد فيها سبب في لين القلوب وخشوعها، وبكاء العيون ودموعها - قال: الثوري: " إياكم والبطنة فإنها تقسي القلب " وقال سيد الزاهدين و سيد العابدين محمد صلى الله عليه وسلم مرشداً أمته " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" وقد تكون نتيجة لطول الأمد و البعد عن ذكر الله يقول رب العزة جل جلاله" أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" قال ابن عباس رضي الله عنه: مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله .

- وأنجع علاج لقسوة القلب هو ذكر الموت، وقد قيل في ذلك مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ حُبِّبَ إِلَيْهِ كُلُّ بَاقٍ وَبُغِّضَ إِلَيْهِ كُلُّ فَانٍ- و ذلك تحقيقا لقول المصطفى صلى الله عليه و سلم " أَكْثِرُوا من ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَاتِ"، والعلاج الآ خر هو الإكثار من الذكر مع حضور القلب فهو يزيل قسوة القلب.جاء رجل الى الحسن البصري رحمه اله

فقال: أجد في قلبي قسوة، قال: أذبها بذكر الله.

الجزاء المنتظر لمن حقق رسالته:

بعد أن تكلمنا على رسالة المسلم في حياته و حقيقتها و أهم العوامل المعينة عليها و أهم العقبات التي تعترى الطريق إلى تحقيقها يبرز السؤال الآتي ماذا لمن نجح في تحقيقها ، والجواب إن العبادة هي الغيث الذي يهبط على الأرواح فيحييها وهذا الغيث هو مادة حياة القلوب، وصفاء الأرواح، وبه تتحقق سعادة الدارين، وصلاح الحياتين، وهذا الغيث إخواني في الله هو ما يفتقده الناس اليوم على الحقيقة، بل إن ضرورتهم إليه وحاجتهم له أشد من الغيث الحسي، وهو غيث الأرض بالمطر وحقيقة ذلك كالآتي:

1- لعبادة الله عز وجل وطاعته حلاوة تتذوقها القلوب إذا باشرتها، وهذه الحلاوة تقصر عن وصفها العبارات و تعجز عن تصويرها الحكايات، ولا تحيط بها الإشارات ق ال بعضهم: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وفي ذلك

يقول سيد العباد عليه الصلاة والسلام :"حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة" ف لا تقر عينه و لا يهنأ باله إلا بالصلاة التي هي رأس العبادات، لذا كان يقول صلوات ربي عليه و سلم " أرحنا بها يا بلال فهي سر راحته و مصدر سعادته وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حلاوة الإيمان و العبودية، وبين أن الذي يذوق هذه الحلاوة من أخلص حبه لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولعباده المؤمنين فقال صلى الله عليه وسلم
((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار))، فاللهم ارزقنا حلاوة الإيمان و حببه إلينا و كره إلينا الكفر و الفسوق و العصيان و أنت أرحم الراحمين.

2-النجاة من النيران من عذاب جهنم ،نار أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي

سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا ينطفأ لهبها، طعامها الزقوم و شرابها الحميم وثيابهم من النار،أهون اهلها عذابا من في قدميه نعلان من نار يغلي منهما دماغه ، تغلي بهم كما يغلي القدر، فيستغيث أهل النار من الحر فيغاثون بريح باردة يصدع العظام بردها فيسألون الحر ، الظل فيها من يحموم وهو ظل من دخان جهنم و ريحها السموم ريح حارة لا يحتملونها، فيها السلاسل و الأغلال و فيها الحيات و العقارب ولهم فيها مقامع من حديد لو ضربت بها الجبال لتحطمت وتفتت ، فنعوذ ب الله من النار اللهم اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً إنها ساءت مستقراً ومقاماً.

3-أن الله قد اعد لمن حقق هذا المقام جنات تجري من تحتها الأنهار -أنهار الماء الصافي و العسل الذي لم يتغير طعمه و الخمر اللذيذ الذي يحدث لشاربه النشوة و الفرحة بلا تغييب للعقل و اللبن المصفى - نعيمها مقيم لا يفنى و لاينقص ، بناؤها لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك والأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ و

الياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت ولا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم ، هم فيها لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم اللؤلؤ، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء ، لهم فيها من كل الثمرات و لهم فيها ما يشتهون، أزواجهم فيها الحور العين أنشأهن الله إنشاءً، فجعلهن أبكارا، عاشقات لأزواجهن، مستويات في الأسنان، حسان جمال، كأمثال اللؤلؤ المكنون، كأنهن الياقوت و المرجان، مشيها هرولة، ونغمتها شهية بهية ، لزوجها عاشقة، وعليه محبوسة، وعن غيره محجوبة، قاصرة الطرف عن الرجال، فلا تنظر إلى غير زوجها. لم يطمثها إنس قبله ولا جان، كلما أصابها زوجها وجدها بكر عذراء قال صلى الله عليه و سلم :" صلى الله عليه وسلم : لو أن امرأة ً من نِسَاءِ أهل الجنة اطّلعتْ إلى الأرضِ لأضاءت ما بينهما و لملأت ما بينهما ريحاً " ، فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء

بما كانوا يعملون"، فاللّهم اجعلنا من أهلها يا أكرم الأ كرمين.

4- مرافقة و ملاقاة الأحبة : "جاء رجلٌ إلى رسولِ اللّه ِ صلّى اللّه ُ عليه وسلّم فقال : يا رسولَ اللّه ِ، كيف تقولُ في رجلٍ أحَبّ قومًا ولم يَلحَقْ بهم ؟ فقال رسولُ اللّه ِ صلّى اللّه ُ عليه وسلّم : المَرءُ معَ مَن أحَبّ "، فمن نعيم الجنة ملاقاة الأحبة و الصالحين من العباد الزاهدين و العلماء العاملين و أهل الجهاد الصادقين ،ملاقاة الفضيل وأيوب و أويس و ابن المبارك و أحمد و الشافعي و مالك و صلاح الدين و قطز و الرشيد و الفاتح وعقبة بن نافع و قتيبة بن مسلم و طارق و ابن المسيب و الحسن البصري و ابن سيرين و الليث و سفيان ، وأصحاب النبي صلى اللّه عليه و سلم طلحة و الزبير و أبي عبيدة وسيف اللّه خ الد و عثمان و علي و أبي هريرة و الفاروق عمرٍ وسعد بن مالك والحسن و الحسين وجعفر وسلمان والأسد حمزة و الصديق أبي بكر و أمهات المؤمنين وفوق ذلك

كله ملاقاة الأنبياء و المرسلين آدم و نوح ويوسف و يونس و إبراهيم الخليل وداود و سليمان و عيسى و موسى الكليم ويحيى و زكريا وأيوب واسماعيل الذبيح واسحق و يعقوب و هود و صالح و شعيب الخطيب و سيد العابدين إمام المرسلين المصطفى الحبيب سيدنا محمد عليه أزكى صلاةٍ و سلامٍ من رب العالمين ، ف اللّٰهم اجمعنا بهم في الفردوس الأعلى يارب العالمين.

5- دوام رضوان اللّٰه:عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ ، قَالَ :"رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إِنّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنّةِ يَا أَهْلَ الْجَنّةِ فَيَقُولُونَ لَبّيْكَ رَبّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا تَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا" ، وفيه إشارة إلى قول اللّٰه عز وجل : "وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ

وَرِضْوَانٌ مِنْ اللهِ أَكْبَرُ" ،أي و رضوان من اللّه أكبر من كل ذلك النعيم ، فرِضَاهُ سَبَب كُلّ فَوْز وَ كل سَعَادَة ، وَكُلّ مَنْ عَلِمَ أنّ سَيِّدَهُ و محبوبه رَاضٍ عَنْهُ كانَ أقَرّ لَعَيْنه وَأطْيَبَ لِقَلْبِهِ مِنْ كُلّ نَعِيم لما فيه من التعظيم و التكريم ، ولأن به اطمئنان القلب الذي هو نعيمٌ يفوق كل نعيم مادي محسوس.

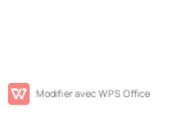
6- النظر إلى وجه اللّه الكريم: عن صهيب بن سنان رضي اللّه عنخ "تلا رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ هذهِ الآيةَ { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } وقالَ إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النّارِ النّارَ نادى منادٍ يا أهلَ الجنَّةِ إنّ لكُم عندَ اللّهِ موعِدًا يريدُ أن ينجزَكُموهُ فيقولونَ وما هوَ ألَم يثقِّلِ اللّهُ موازينَنا ويُبيِّضْ وجوهَنا ويدخلنا الجنَّةَ وينجِّنا منَ النّارِ قالَ فيَكشفُ الحجابَ فينظرونَ إليهِ فواللّهِ ما أعطاهمُ اللّهُ شيئًا أحبَّ إليهم منَ النَّظرِ - يعني إليهِ - ولا أقرّ لأعينهم" و كان من دعاء سيد العابدين و إمام المحبين صلى اللّه عليه و سلم : " وأسألك لذة النظر إلى وجهك"، فهي لذة لا تدانيها لذة،

هي أعظم أنواع اللذات التى يُنعَم بها أولياؤه، ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم من رؤيته وسماع كلامه والدنو منه وقربه، فإذا تجلى لهم ورأوا وجهه عيانا : نسوا ما هم فيه من النعيم وذهلوا عنه ولم يلتفتوا إليه ، لا ريب في ذلك فإن الأمر هو أجل مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال ، لذا فلا نسبة لشي من لذات الجنة أصلا ً إلى لذة اللقاء والرؤية ، فاللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إى لقائك ؛ في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

كتب أنصح بقرائتها لتكوين ثقافة اسلامية

البرهان القاطع لابن الوزير
الفيزياء ووجود الخالق
ففروا إلى الله للقلموني
تفسير السعدي
فقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق البدر
اليوم الأخير للعريفي
لفتة الكبد في نصيحة الولد لابن الجوزي
تهذيب موعظة المؤمنين "أفضل" أو مختصر منهاج القاصدين
نور اليقين للخضري أو السيرة النبويى للصلابي"أفضل"
معجزة القرآن للشعراوي
مختصر صفة صلاة النبي صلى الله عليه و سلم للألباني
فقه السنة الميسر لعبد الله المطلق
قوت القوب في توحيد علام الغيوب للعلامة الحازمي
النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز
المحاورة لصلاح الصاوي
الثمر الداني على رسالة أبي زيد القيرواني
جامع العلوم و الحكم
هويتنا أو الهاوية للشيخ محمد اسماعيل المقدم
تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم
أصول بلا أصول للشيخ محمد اسماعيل المقدم
رياض الصالحين
الواضح في علوم القرآن
معالم أصول الفقه عند أهل السنة للجيزاني
التواصل الأسري للبكار
المدخل لعلوم الحديث طارق عوض الله
الإجماع لابن المنذر
صور من حياة الصحابة عبد الرحمن رأفت الباشا
صور من حياة الصحابيات عبد الرحمن رأفت الباشا
الإسلام و الأديان القديمة مصطفى حلمي
تحذير الداعية من القصص الواهية لعلي حشيش
فتاوى الطب و المرضى للشيخين محمد ابن ابراهيم و ابن باز

مسودة في التاريخ الإسلامي د.طارق عبد الحليم
مشكلات الأطفال للبكار
المراهق للبكار
رحماء بينهم للسرجاني
فقه التعامل بين الزوجين للعدوي
هديتي لابنتي للطرهوني


Modifier avec WPS Office